

نور الشام

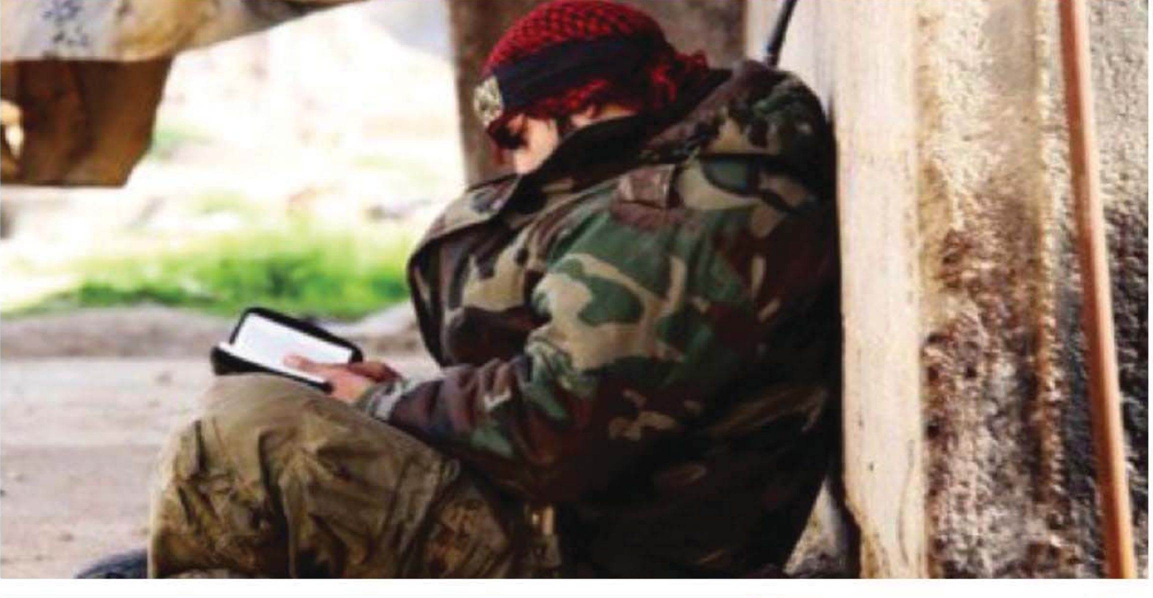
دورية صادرة عن هيئة الشام الإسلامية

ربيع ثاني ١٤٣٥هـ الموافق فبراير/شباط 2014 م

/islamicsham

العدد: ١٧

السنة الثالثة



في هذا العدد:

افتتاحية العدد:

اصطفى الله محمداً ﷺ وأمته، فجعلهم أفضل الأمم، واختصهم بخاتم الكتب، وأكمل الشرائع، وأتم عليهم الدين، وبذلك جعلهم وسطاً بين الأمم؛ أي خيارها وأجودها؛ ليكونوا شهداء على الأمم يوم القيامة.

ثم كانت وسطية الإسلامة سِمة عامة في كل تشريعاته، فالإسلام وَسط بين الأديان السابقة يتجلى فيها الكمال ووضع الآصار والأغلال التي كانت على الأمم الماضية، ويتجلى فيها قبل ذلك كله توحيد الله سبحانه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وعبادته وحده لاشريك له، وإخراج الناس من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، بعد أن حُرِّفت هذه العقيدةُ الصحيحةُ في الكتب المتقدمة.

وهو وسط بين الفِرَق التي وقعت في الانحرافات العديدة بين الإفراط والتفريط، بين الغلو والجفاء، فأهل السنة والجماعة متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله، وما اتفق عليه ﴿السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان﴾، ومقتفون سنة النبي ﷺ التي بينها بقوله: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي».

ومن أهم سمات وسطية الإسلام:

- **السماحة ورفع الحرج:** فالوسطية والاعتدال هي سمة الشريعة الإسلامية بنص القرآن، قال الله -جل وعلا-: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨) وقال أيضا: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ (المائدة: ٦).
- **العَدل:** فهي شريعة العدل في الأحكام والتصرفات؛ لأن غير ذي الوسط لا بد أن يكون في سلوكه إما إلى تفريط وإما إلى إفراط.
- **موافقة العقل السليم:** فإن الانحراف عن الجادة بغلو أو جفاء لا يكون معه العيش مستمرًا وَفْق مصالح الناس. فمصالح الناس تقتضي عقلاً ومنطقًا أن يكون هناك منهج متوسط يجتمعون عليه، ويدافعون عنه.
- **الاعتماد على العلم والبعد عن الأهواء:** فالوسطية والاعتدال يبرآن من الهوى ويعتمدان على العلم من نصوص الكتاب أو السنة، وفق أقوال واجتهادات أهل العلم الراسخين في العلم.
- **مراعاة القدرات والإمكانات:** سواء كانت قدرات الأفراد أو قدرات المجتمع أو قدرات الدولة الخاصة بالبلد، أم القدرات المتعلقة بالأوضاع العالمية. فهي تراعي القدرات والإمكانات، فليس صاحب الوسطية مُعجِّزًا للناس في طلباته، أو ذاهبًا إلى خيالات في آرائه وتنظيراته.
- **مراعاة الزمان والمكان وطبيعة الناس:** فالزمن يتغير، والناس أيضًا يحتاجون إلى تجدد باعتبار الزمن وباعتبار التغير، فمحافظتهم على المنهج الوسطي يقتضي أن يكون هناك مراعاة لاختلاف الأزمنة ولاختلاف الأمكنة ولاختلاف الناس.
- **الالتزام بأحكام الدين:** فمن شادّ هذا الدين وقع في الغلو وانحرف، ومن أعرض عنه وقع في التقصير وأثم.

قال ﷺ: «إنّ الدّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادّ الدّينَ أَحَدٌ إلاّ غَلَبَه». ويشادّ بمعني: يغالب. فمَن غالب الدين، فشَقّ على نفسه، فسيكون منتهى أمره إلى الانقطاع ويُغلَب.

و «مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْن، أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الآخَر، إلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إثْمًا، فَإنْ كَانَ إثْمًا، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ».

وفي هذا العدد سنلقي الضوء على جانب من جوانب الانحراف في الدين، ألا وهو جانب الغلو. تبصرة وذكرى وبياناً لوسطية الأمة ■

نور الشام ترحب بمشاركاتكم وتزداد ثراءً بأقلامكم.... للتواصل مع إدارة التحرير وإرسال مشاركاتكم
contact@islamicsham.org

فتـــــوى

هل القتال القائم بين الكتائب المجاهدة وتنظيم (الدولة) قتال فتنة ؟

المكتب العلمي بهيئة الشام الإسلامية

السؤال:

هل القتال الدائر الآن بين بعض الكتائب المجاهدة في سوريا و«تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام» قتال مشروع أم هو فتنة؟ أرجو تبيين هذا الأمر، لأنه سبب بلبلة وخلافًا بين بعض الكتائب، فمنهم من تصدى لتنظيم الدولة، ومنهم من اعتزل ذلك تحرجاً وتأثمًا.

الجواب:

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد ساءنا وساء كل غيور انشغال الكتائب المجاهدة في أرض الشام عن مقارعة النظام المجرم بهذا القتال الذي ذكرت، وإنَّه لأمر تدمع له العين، ويحزن له القلب، ولكنها حكمة الله تعالى؛ ليميز الخبيث من الطيب، وليمحص المؤمنين، ويمحق أهل الكفر والبدع والضلال.

أما سؤالكم إن كان هذا القتال من جنس قتال الفتنة فبيانه كالتالي:

أولاً: دلَّت النصوص الشرعية وكلام أهل العلم على أنَّ قتال الفتنة هو القتال الذي ينشب بين طائفتين من المسلمين كلتاهما على باطل، أو يلتبس فيه أمرهما، فلا يُعلم المُحق من المُبطل، أو يتقاتلان لمغانم دنيوية.

فالدخول في هذا القتال منهي عنه، وقد أُمرنا باعتزاله وعدم المشاركة فيه بأي حال من الأحوال، وهو المقصود بقول النبي ﷺ: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» متفق عليه.

قال الجصاص -رحمه الله- في (أحكام القرآن) تعليقاً على هذا الحديث: «فَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ إذَا قَصَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ظُلْمًا عَلَى نَحْوِ مَا يَفْعَلُهُ أَصْحَابُ الْعَصَبِيَّةِ وَالْفِتْنَةِ».

وقال النبي ﷺ في هذه الفتن: «فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ» متفق عليه.

قال النووي -رحمه الله- في (شرح صحيح مسلم): «تُتَأَوَّلُ الْأَحَادِيثُ عَلَى: مَنْ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ الْحَقُّ، أَوْ عَلَى طَائِفَتَيْنِ ظَالِمَتَيْنِ لَا تَأْوِيلَ لِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا».

أما قتال من ظهر ظلمهم وبغيهم وعدوانهم وصيالهم على النفس والمال، فهو قتال مشروع؛ لكفِّ شرهم ودفع أذاهم.

قال الطبري رحمه الله: «لَوْ كَانَ الْوَاجِبُ فِي كُلِّ اخْتِلَافٍ يَكُونُ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْهَرَبَ مِنْهُ وَلُزُومَ الْمَنَازِلِ، لَمَا أُقِيمَ حَقٌّ، وَلَا أُبْطِلَ بَاطِلٌ» نقله عنه القرطبي في تفسيره.

وقال ابن بطال -رحمه الله- في (شرحه لصحيح البخاري): «فأما إذا ظهر البغي في إحدى الطائفتين، لم يحلّ لمسلم أن يتخلف عن قتال الباغية، لقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾، ولو أمسكَ المسلمون عن قتالِ أهلِ البغي لَبَطُلَت فريضة الله تعالى».

ثانيًا: منذ اليوم الأول من إعلان تنظيم «دولة العراق الإسلامية» ضمّ الشام إلى دولتهم المزعومة، والمصائب تتوالى على أهل الشام من جراء أعمال وتصرفات هذا التنظيم.

حيث يتصرَّف أمراؤهم وقادتهم في البلاد على أنَّهم الدولة الحاكمة المسيطرة التي يجب على الجميع الخضوع لحكمها وقراراتها.

وانشغلوا باحتلال المناطق المحررة وتثبيت أركانهم عن الثغور، وأظهروا الغلو في التكفير، وأشاعوا التخوين والاتهام «بالصحوات» لمن يخالف منهجهم أو لا يقبل بدولتهم!

فكفَّروا الكتائب المجاهدة، وسفكوا الدم الحرام، واستحلوا أخذ أموال المسلمين بحجة قتال الجماعات المنحرفة، وأشغلوا الناس عن مقارعة النظام، ونشروا الحواجز التي ضيَّقت على الناس معاشهم وامتحنتهم في عقائدهم ودينهم، فأشاعوا الخوف وعدم الاستقرار.

ولما دعاهم المجاهدون إلى التحاكم لشرع الله من خلال محاكم مستقلة، ماطلوا وأبوا وزادوا في غيهم، فلا يكاد يمرُّ يوم إلا ونسمع خبر اعتقال أو سفك دم لخيرة المجاهدين والإغاثيين والإعلاميين، بادعاءات وشبهات لا دليل عليها.

فهؤلاء جمعوا أوصافًا شنيعة، كل منها كاف في نفي صفة الفتنة عن قتالهم، فكيف باجتماعها:

الوصف الأول: الاعتداء على معصومي الدم والمال، وقد شرع الله ردَّ الاعتداء بمثله، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١٩٤).

وقال ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مالِه فهو شهيد، ومَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتِلَ دُونَ أَهْلِه فهو شهيد» رواه أبو داود، والترمذي.

الوصف الثاني: البغي، فإذا كانت الفئة الباغية يُشرع قتالها لمجرد بغيها، فكيف بمن جمع بين البغي والغلو والتكفير بغير حق، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩).

قال القرطبي -رحمه الله- في (تفسيره): «فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ قِتَالِ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ الْمَعْلُومِ بَغْيُهَا عَلَى الْإِمَامِ، أَوْ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

الوصف الثالث: الاجتماع على الباطل والامتناع من الانقياد للحق.

قال ابن تيمية -رحمه الله- في (الفتاوى): «وَقَدْ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ الطَّائِفَةَ الْمُمْتَنِعَةَ إذَا امْتَنَعَتْ عَنْ بَعْضِ وَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ قِتَالُهَا إذَا تَكَلَّمُوا بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَامْتَنَعُوا عَنْ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، أَوْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، أَوْ حَجِّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، أَوْ عَنْ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَوْ عَنْ تَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ... وَنَحْوِ

ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُمْ يُقَاتَلُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ».

فإنهم لما دُعوا مراراً للتحاكم للشرع من خلال محاكم شرعية مستقلة أبوا وامتنعوا بما عندهم من الشوكة، مما أدى إلى تعطيل الحكم في الدماء والمنازعات التي جرت بينهم وبين القوى الثورية الاخرى من كتائب وغيرها.

الوصف الرابع: مشابهة أفعالهم لأفعال الخوارج الأولين، الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم، فقد اجتمع في هؤلاء من صفات الخوارج من تكفير المخالفين لهم، وقتل أهل الإسلام، مع المكابرة ورد الحقّ، ما يجعلهم يُلحقون بهم حكمًا، بل قد فاقوهم في صفات الغدر، والخيانة، ونقض العهود، وتضييع الأمانات.

قال ﷺ: «وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ» رواه مسلم.

وقال: «سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا، لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه.

وقال فيهم: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ» متفق عليه.

بل إنَّه ﷺ عدَّ قتلاهم شرَّ القتلى، وقتلى المسلمين على أيديهم خير القتلى، فقال: «طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ» رواه أبو داود.

وقال: «شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتِيلٍ مَنْ قَتَلُوا» رواه أحمد.

وما أشبه حال هؤلاء بحال التتار الذين قال فيهم ابن تيمية -رحمه الله- في (الفتاوى): «وَقَدْ تكلَّم النَّاس فِي كَيْفِيَّةِ قِتَالِ هَؤُلَاءِ التَّتَرِ مِنْ أَيِّ قَبِيلٍ هُوَ، فَإِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَلَيْسُوا بُغَاةً عَلَى الْإِمَامِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي طَاعَته فِي وَقْتٍ ثُمَّ خَالَفُوهُ. فَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ (أي ابن تيمية): هَؤُلَاءِ مِنْ جِنْسِ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنْهُمَا، وَهَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِإِقَامَةِ الْحَقِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَعِيبُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا هُمْ مُتَلَبِّسُونَ بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالظُّلْمِ».

ثالثًا: لا يمنع من قتالهم ما يوجد فيهم من عبادة أو طاعة أو جهاد، فقد أخبرنا رسول الله عن أوصاف الخوارج في العبادة حتى لا نغترَّ بهم فقال: «لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ» رواه مسلم.

وقال: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ» متفق عليه.

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في وصفهم: «فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ أَرَ قَوْمًا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ، أَيْدِيهِمْ كَأَنَّهَا ثَفِنُ الْإِبِلِ (أي ركبها الغليظة)، وَوُجُوهُهُمْ مُعَلَّمَةٌ مِنْ آثَارِ السُّجُودِ» رواه عبد الرزاق في المصنف.

فمع شدَّة اجتهادهم في العبادة إلا أنَّهم وقعوا في بدع منكرة استحلوا بها الدماء والأموال.

رابعًا: يجب على المجاهدين عدم الخروج عن المنهج القويم في قتالهم، كالفحش في سبهم، أو رميهم بالكفر، أو النفاق -وإن رموا هم مخالفهم بذلك- فالكفر حكم شرعي لا يجوز إطلاقه إلا بتحقق شروطه وانتفاء موانعه، ويكون ذلك من أهل العلم الراسخين.

كما يحرم تجاوز الحدِّ المشروع في قتالهم بالتعذيب، أو الإهانة، أو التعرُّض لمن لا يجوز قتاله من نسائهم وأطفالهم، وقد سبقت فتوى حول (حكم قتل نساء وأطفال الأعداء من باب المعاملة بالمثل) فكيف بالمسلمين المنحرفين؟

ولقتال هؤلاء أحكام خاصة ليس هذا مكان بسطها.

خامسًا: غاية قتال هذه الفئة أن ترجع عن بغيها وظلمها، وذلك بسحب إعلان دولتهم المزعومة، والكف عن تكفير الجماعات المجاهدة وقتالها، وإرجاع ما اغتصبته منها، والخضوع للمحاكم الشرعية المستقلة، والارتداع عن الأفعال الشنيعة حقًا لا ادعاءً.

قال الطبري -رحمه الله- في «تفسيره» لقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾: «فَإِنْ أَبَتْ إِحْدَى هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ الْإِجَابَةَ إِلَى حُكْمِ كِتَابِ اللَّهِ لَهُ وَعَلَيْهِ، وَتَعَدَّتْ مَا جَعَلَ اللَّهُ عَدْلًا بَيْنَ خَلْقِهِ، وَأَجَابَتِ الْأُخْرَى مِنْهُمَا، ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ يَقُولُ: فَقَاتِلُوا الَّتِي تَعْتَدِي، وَتَأْبَى الْإِجَابَةَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ ﴿حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي حَكَمَ فِي كِتَابِهِ بَيْنَ خَلْقِهِ».

سادسًا: يجب على المجاهدين أن لا ينصرفوا إلى هذا القتال بكُلِّيتهم، فينشغلوا به عن قتال العصابات الباطنية والأحزاب الرافضية، فما خرج من خرج في سبيل الله، ولا تشكَّلت هذه الكتائب والألوية إلا لإسقاط النظام النصيري الكافر الفاجر، فليقدَّر لكل أمر قدره.

كما يجب على العلماء وطلبة العلم مواجهة الغلو وكشف شبهات الغلاة، مهما تباينت أسماؤهم واختلفت أفكارهم، وحوار من انجرف إلى ذلك من الشباب بالحكمة والموعظة الحسنة؛ فهذا واجب الوقت الذي لا ينبغي السكوت عنه؛ فخطر الغلو في الدين لا يقل عن خطر أنظمة الكفر والطغيان، قال ابن عساكر -رحمه الله- في (تاريخ دمشق): «ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض وقطعت السبل وقطع الحج من بيت الله الحرام وإذا لعاد أمر الإسلام جاهلية حتى يعود الناس يستغيثون برؤوس الجبال كما كانوا في الجاهلية».

وأخيراً:

نقول للأمة الإسلامية جمعاء: إنَّ جهاد إخوانكم في سوريا بخير إن شاء الله، وإنَّ هذه المحن لن تزيده إلا تمايزًا في الصفوف، واتحادًا في الكلمة، فلا تقعدنَّ بكم هذه الأحداث عن الاستمرار في نصرة إخوانكم من المجاهدين الصادقين.

ولله دركم يا أهل الشام فقد اجتمع عليكم كل أهل الكفر والنفاق من الباطنية والرافضة، وأهل البغي والعدوان من الفرق الضالة، وأرادكم الله حربًا لكل هؤلاء، والله معكم ولن يتركم أعمالكم.

اللهم انصر المجاهدين واخذل الكفرة المجرمين والمبتدعين الضالين، وردّ المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً، إنك على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.








الثورة السورية وحصاد داعش
المخرج الأخير

مهنا الحبيل*

لـو كانـت إعادة ما ذكرنـاه وحذرنا منه في سلسـلة تحليلاتنـا عن الثورة السورية طوال ثلاث سنوات مفيدة اليوم لأعدنا تسجيله من جديد لكنه يبقـى مـن الماضي، ومع ذلـك فإن اسـتدعاء بعضه الآن بألـم، مهم لفهم الدرس، ولما يتطلبه المستقبل الحسّاس لإنقاذ الثورة وشعبها المدني.

لقد حددنا مبكرًا المسـار السياسـي والمخابراتي الذي سـيتحقق للحلف العالمي الجديد الذي بات يضم مشـاركة عربية تتوسـع كل يوم، في دلالة تؤكـد أن العهد الإيراني الأميركي للمشـرق العربي يتقدم بخطوات قوية مـن التنسـيق واندمـاج الموقف، وأن شـراكة محـور خليجي باتـت فاعلة ومنتظمـة، فيمـا اخترقـت واشـنطن دولا من داخـل قرارها. ومـا يعنينا هنا هو سـياق هذا التوافق والتقاطع الضاغط على الثورة السـورية، لقد حقـق التحالـف ما يصبو إليه مـن داعش (الدولة الإسـلامية في العراق والشـام) وهو تفتيت ميدان الثورة السـورية ونشـر الفوضى في مناطقها واستهداف مدنيّيها من داخل محاضنها.

وكان المدخـل الرئيسـي الـذي أنذرنـا منـه فصائـل الثـورة، هـو تمكـين أي مجموعـات جهادية متطرفة أو منتظمة من اختطاف الميدان وبعثرة الثوار، وهو أكثر بكثير من سـلبيات ضعف التنسـيق لدى الجيش الحر في رمزيته السـابقة وأخطائـه التـي كان بالإمـكان معالجتها ونقله إلى مؤسسـة مرنة كجهاز عسكري للثورة ويبقى محافظا على ممانعتها الوطنية أمام الاختراق.

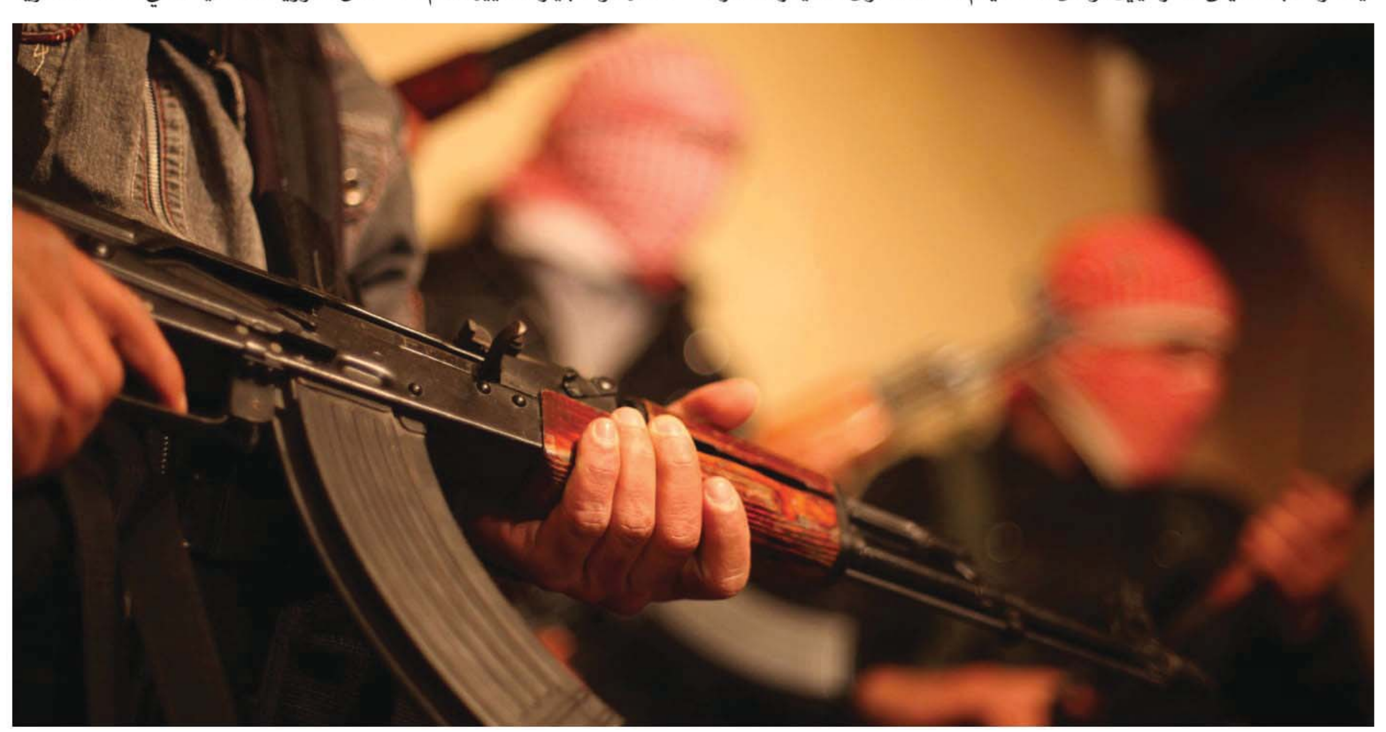
لقـد نجحـت الفكـرة الأيديولوجيـة التي بُثـت للنيل من صدقيـة التوجه الإسـلامي فـي أصل الثـورة وشـعبها، وبالتالي خلق أرضيـة لتأمين هذا التدخـل بحجة إسـلامية وصحـة عقيدة المقاتل الوافد وأن ثوار الشـعب ليسـوا مجاهديـن شـرعيين، وكان ذلـك يتم تحـت دعوى النفيـر لنصرة الشـام فيمـا اكتنز الموقـف الأيديولوجـي داخله، رغم كل الشـهادات بأن النقص في العتاد لا الرجال.

إن هـذا التقاطـع الخطيـر كان هـو المدخـل لاسـتثمار أجهـزة مخابرات عدة وحاجة السـيناريو الإسـرائيلي الإيراني وغطائه الروسـي الأميركي لفكرة التفويج التي تمارسـها أجهـزة مخابرات متصارعة، وهنا يتبين ما قصدنـاه من الدفـع المخابراتي لمناطق العالم السـني ونكباته وإدارة هذه المجموعات لوجستيا، حتى تفتك بجسد الثوة وتشل مركزيتها.

وهـو مـا يعنـي أن الغالبيـة السـاحقة من أولئك الشـباب لا يعـرف ولا يعلم كيـف يتـم تجنيد مهمته، وإن كان ذلك لا يُلغي الاختراق المباشـر لعناصر أو مجموعـات، خاصـة في ظل الجنون التصنيفي بناء علـى صفاء العقيدة أو تهمـة التخابـر الأجنبي التي قد يطرحها ضد شـخصيات أخرى في داخل المجموعة المتشددة عُنصر أمني ضد منافس له داخل المجموعة أو خارجها.

وحـين تكاملـت عناصـر التواجـد المطلوبـة، قـاد فريـق من النـاس اتهام غالبية جسم الثورة السورية وألوية الجيش السوري الحر بأنها صحوات وذلك في رفضهم لمركزية ثوار سـوريا الداخل، تمهيدا لتفكيك التماسك الوطني الذي يُنظّم البناء الاجتماعي لشعب الثورة ويحتضنه.

هـذا الفريـق أكثـره حـادب ومخلص لكنـه لم يوفـق أبدًا فـي دعـم وحدة الثوار، وسعى لهدم بنائهم مقابل بناء إسلامي صاف كان يعتقده بحسب معاييـره لا بمعايير منهاج أهل السـنة، ومـن المفارقات المروعة أن داعش اسـتخدمت هذا المصطلح وأشـعلت الحرب على جماعات ثورية حُسبت علـى ذلك الفريـق، وكان أول وأكثر من واجه حملة داعش بتقطيع رؤوس قادتها وتفجير مدنييها هم الفصائل الثورية السلفية التي كانت منضوية



آراء وتحليـــــلات

في رمزية الجسم المركزي للثورة.

إن بطش داعش بحركة أحرار الشام ذات التوجه السلفي المعتدل والذي كان ممكنًا جدا أن تندمج تصوراته وشراكته في مشروع الجسم العسكري الموحد، يُظهر لنا إشكالية فكر الجماعات الجهادية المتطرفة المُسلَّح، حيث إنها لا يُمكن أن تتعايش مع مشروع إنقاذ لمناطق الأمة، لكن من الخطأ أن تُفرز بذلك داعش دون مجموعات أخرى ممكن جدًا أن تتجه لهذا المنحدر ولها سوابق.

وما جرى من تحذير صريح من بعض الشخصيات العلمية من جرائم وتوجهات داعش، والتأكيد على كارثية ذهاب الشباب من خارج سوريا، كان له أثر في تفكيك قناعات لدى كثير من الشباب وغيرهم، وتحمل عدد من المشايخ تبعات البلاغ عن هذا الموقف الخطير والمصارحة فيه.

إلا أن ما تبقى من نفوذ قوي وخاصة جيش داعش الإعلامي أو من يتعاطف معها كان كافيًا لتحقيق ذلك المستوى من الاختراق والفوضى، سواء في مرحلة مواجهة داعش للثورة السورية أو ما سبقها، واستدرجت من ذهبت أرواحهم معها من شباب في مقتبل العمر من أهل الخليج العربي واليمن.

ومعلوم أن هاتين المنطقتين يتدفق منهما الشباب صغار السن، في حين من ينضم إلى داعش أو ما ماثلها من المناطق الأخرى عادة ما يكون متقدما في عمره وفي أيديولوجيته.

ولقد كان واضحا عبر رصد تويتر ومتابعته الدقيقة والتسريبات المهمة حجم تعويل البغدادي ومجلسه على مناطق محددة من الخليج العربي لضمان تدفق الدعم والعناصر الغضة التي يسهل تطويعها، وتكرار تجارب المواجهات مع ثوار الداخل حين يقال لهذا الشاب هؤلاء صحوات أو مرتدون أو غير ذلك، وكذلك ضمان تدفق الدعم المادي لتلك المشاريع.

وكل ذلك يدعو وللضرورة إلى إعادة تقييم فكر الحالة الجهادية والتقدم بها نحو مصارحات علمية للتفصيل بين الفكر الجهادي الغالي، وبين مسلك مدرسة أهل الأثر الأصلية في منهاج أهل السنة وبين هذا المسلك الذي يعتمد على تضليل الشعوب وطبقات علماء أهل السُنة وربط ذاته بقلة يختارها التعصب أحيانا، وعليه فلا تنتظر منه طاعة أو إجلالا للعلماء الذين لا يعتمدهم التنظيم والتفكير الطائفي، وهنا يسهل خلق مرجع له في ظل رفضه قراءة موقف الشرع عبر رؤى أهل السُنة المتعددة شخصياتهم.

ماذا ينتظر الثائر السوري؟

إن هذه الخلاصة المهمة سردناها لمعرفة طريقة نفوذ هذا الفكر وكيف تُحول قاعدة التنظير لديه لمشاريع تنفيذية، ولذلك كان من الخطأ أن تُشارك فصائل ثورية سورية في تمكين هذا التفكير، وهو درس مهم لا يزال تأثيره قائما بأن تعي الفصائل الإسلامية منهاج السياسة الشرعية الواجبة، وتَخْلُص إلى مفاهيم الفقه ومدارات الاستنباط عبر أصل منهاج أهل السنة.

وأن مصادر هذا الفقه هي أصول الشرع ومسالكه ومنها مآلات استنباطه، وأن تخرج الثورة من دائرة استثارتها عاطفيًا، بأن هذا المشروع ليس إسلاميًا ومقابله هو الشرعي لأن الشيخ فلان أو علاّن لم يعتمده.

وعليه فإن الوضع اليوم خطير جدًا ومعنى الفشل في تصوره ودقة مساراته سيؤدي إلى خسارة الثورة السورية، وفي المقابل عدم ضمان سلامة مناطق أُخرى للمدنيين كما يراهن واهمًا فريق الائتلاف الوطني حتى مع ضمان بقاء فترة انتقالية وهمية للأسد يُعيد فيها استنساخ هيكله باسم جديد أو عهد ديكوري.

إن إيمان هذه الفصائل الإسلامية بمنهاج أهل السنة الذي يراجع الضرورات وفقه دفع الصائل والقبول بأخف الضررين وفتوى الحال القاهر في مقابل فقه الاختيار والترجيح سيُساعد الميدان على تماسكه وتقريب وتوحيد فصائله والعودة إلى البيت السوري الداخلي الغني بالعلماء والمفكرين والإرث السياسي.

ومن هنا فإن أول تأسيس بناء هذه المرحلة هو العودة لتجميع جبهات الثوار السوريين، وهم مجاهدون شرعيون من أصل ثورتهم وكفاحهم، والخلل هنا وهناك من ممارسات خاطئة أو وجود مجموعات غير منضبطة لا يقارن بكارثية اجتياح الفكر الداعشي ومآلاته.

إن هذا التأسيس لضم الجبهات السورية والجيش الحر لمجلس عسكري موحد جديد هو المخرج الوحيد، وحينها سيسهل دفع داعش وتحييدها عن الثورة، وتنظيم التنسيق مع جبهة النصرة بمعايير محددة ومكتوبة، وهو المدخل لإنقاذ الثورة والشعب وحلمه السياسي.

العودة إلى المشروع السياسي

وهنا حين يتماسك الميدان ويُفرز بصورة وطنية ومنظمة تجمع شتات علماء الثورة وفصائلها، ستتمكن الثورة من تحييد داعش والمحاور المستثمرة عبرها، وتحتاج بعد ذلك إلى تعاط سياسي دقيق يجب أن يتعامل بذكاء أمام اتفاق العالم الظالم ضده.

وما نقصده عدم الاندفاع بردود عاطفية في التعامل مع جنيف الذي أُسس أصلاً لتصفية الثورة السورية سياسيًا، لكن ستُخضع كل الدول للتعامل معه بعد الاتفاق الروسي الأميركي، وعليه فإن قدرة المشروع السياسي للثورة ستتصاعد عبر تجنب أكبر مساحة مصادمة مع هذه الأطراف حتى لا تتحفز ضدهم والتركيز على تأمين الميدان وسلامة الشعب حتى تمر أجواء المؤتمر الصاخبة.

وهو ما يستدعي تقدير ظروف الأطراف السورية المجتهدة وكسبها للمستقبل وتحييد المتورطة بهدوء، بعدها تُنسق جبهات الداخل بعد توحيدها مع الأطراف السياسية السورية الأقرب لروح الثورة وأهدافها، ويُعاد رسم الخريطة ومساحات الاجتهاد التي تُقدر الضرورات لإنقاذ هذا الشعب، ولا يشمل ذلك بالطبع أي بقاء لنظام الأسد، لكن الحاجة قائمة لمزيد من المهارة في التعامل مع الضغوط وبقاء مساحات التعاطف من أي جهة مع الثورة.

ومع هذا الحراك السياسي الذي يجب أن يُقرّب السوريين في خيمة ثورتهم وشعبهم، يحتاج الثوار ومناصروهم إلى تأمين المدنيين عبر أكبر نطاق ممكن من المخيمات في الداخل والحدود بعيدا عن القصف والانفجارات، وهي مدارات وقعت لشعوب عدة ثم عادوا، وهي أهون بكثير من بقاء النزيف الدموي الهائل الذي يتواطأ العالم عليه.

وعندها سيتحرَّر الثوار بشكل أكبر، ويتمكنون من استغلال قدراتهم الميدانية واستعادة زمام المبادرة لمعارك حاسمة، أما بقاء الخلل والصراع وتدخل أطراف خارجية شعبيا ورسميا وتصلّب الفصائل والشخصيات لآرائها، فهو -والله- مقدمة الهاوية ■

❖ بتصرف يسير

مقتطفات من كتاب

ظاهرة الغلو والتكفير

الأصول، والأسباب، والعلاج

أ. د ناصر بن عبد الكريم العقل

الغلو لغة:

هو: مجاوزة الحد، يقال: غلا فلان في الأمر: أي تجاوز الحد فيه.

الغلو شرعاً:

التشدد والخروج عن حد الاعتدال في الدين اعتقاداً أو عملاً، أو هما معاً.

الخلفيات والأصول (الجذور العلمية والتاريخية) للغلو في الدين والتكفير:

ترجع بذور الغلو في الدين إلى رؤوس الثوار على عثمان رضي الله عنه، وبعض العجم والأعراب الذين لم يتفقهوا في الدين، وبعض العباد الجهلة الأوائل، وأصحاب الأهواء، وأهل النفاق والزندقة، وكان من ضحيتهم بعض الغيورين والمندفعين إلى التدين بعاطفتهم بلا حكمة، ومن هذه الأصناف تكونت فرق الخوارج الأولى.

وأصول الغلو باقية، وتنبعث كلما توافرت أسبابها في أي زمان وأي مكان وبيئة، لا سيما مع الأحداث الجسام والفتن، فنزعة الغلو والتشدد التي قد تنشأ عنها ظواهر التكفير والعنف قد تصاحب كل نهضة أو دعوة وتشذ عنها.

من قواعد الحكم بالكفر وضوابطه:

١- أن الحكم بالكفر من الأحكام الخطيرة والحساسة، ولا تكون إلا بتثبّت وبيّنات، وقد جاء فيه الوعيد كما صح عن النبي ﷺ: «إذَا قَالَ الرَّجُلُ لأخِيه: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِه أَحَدُهُمَا» أخرجه البخاري. ويجب أن يحرص المسلم على دفع الكفر ودرئه عن المسلم قدر الإمكان، كان الإمام مالك رحمه الله يقول: «لو احتمل المرء الكفر من تسعة وتسعين وجهاً واحتمل الإيمان من وجه لحملته على الإيمان تحسينا للظن بالمسلم».

٢- الذي يحكم ويتولى الحكم بالكفر ولوازمه على الأعيان من الأفراد والفرق والهيئات والدول هم العلماء الراسخون، لا سيما عند الفتن قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٣).

٣- لا يجوز تكفير المعيّن إذا قال كفراً، أو فعل كفراً، إلا بعد إزالة الشبهة وقيام الحجّة عليه، من قبل من يملك ذلك من أهل العلم.

٤- حدثت في عهد النبي ﷺ كفريات مخرجة من الملة في ظاهرها، ولم يكفّر أعيان فاعليها؛ لعارض الجهل، أو الإكراه، أو التأول، أو نحو ذلك.

٥- حين نستعرض أقوال السلف وآثارهم وأفعالهم وأحوالهم -من الصحابة والتابعين وأئمة السنة والجماعة وعلمائهم- نجد بيانهم للكفر وتحذيرهم منه في العقائد والأحكام وغيرها كثيراً جداً لكن تكفيرهم للأعيان من الأفراد والفرق والهيئات نادر جداً.

شروط الحكم بالكفر:

لا يحكم بالكفر على من فعل أو قال بالكفر إلا إذا كان:

١- بالغاً ٢- عاقلاً ٣- عالماً ٤- متعمداً ٥- غير متأول ٦- ولا مكره.

وعلى هذا فلا يحكم بالكفر المخرج من الملة في الأحوال التالية:

١- فاقد العقل بجنون أو مرض أو نحوهما.

٢- الصغير الذي لم يبلغ سن التميز أو التكليف كما في الحديث السابق.

٣- الجاهل: أي مَنْ وقع منه الكفر قولاً أو فعلاً وهو لا يعلم أن قوله أو فعله كفرٌ مخرجٌ من الملة.

٤- العمد: أن يقصد فعل الكفر أو قوله غير جاهل، ولا متأوّل، ولا مكره.

٥- غير متأوّل - والتأول صوره كثيرة: كأن يفسِّر الدليل بما يسوِّغ به الفعل، أو يدفع الدليل أو دلالته بما يظن به أنه يجوز له به الفعل، أو يترخَّص بما يظن أنه عذر عاذر له في ارتكاب ما فعله، أو يخطئ في فهم النص، أو الحكم الشرعي المفهوم من النص.

٦- الإكراه: فالمسلم إذا وقع في أمر مكفّر بطريق الضرورة والإكراه فإنه لا يُكَفَّرُ بعينه، فرداً كان أو جماعة، أو هيئة، أو دولة؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل: ١٠٦). وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦).

ومن صور الإكراه في ما أصاب المسلمين اليوم من حالة الذلة والهوان -حين تنازعوا وأعرضوا عن شرع الله- ظاهرة على كثير من الأفراد والشعوب والدول، والله حسبنا ونعم الوكيل.

واعتبار هذه الشروط والموانع هو الذي دلت عليه النصوص، وعليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى والأعلام، وعلماؤنا إلى اليوم، وإلى قيام الساعة. ولذلك تجدهم مع كثرة ذكرهم لمقالات الكفر، وأفعال الكفر، وتحذيرهم منها، يندر تكفيرهم للأعيان من الأفراد والفرق والجماعات والسلاطين.

أسباب الغلو في التكفير:

الأسباب العامة في ظهور الغلو والتشدد والتكفير:

١- شيوع البدع والمنكرات والفساد في المجتمعات، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو التقصير فيه، كما في كثير من البلاد الإسلامية.

٢- قلة الفقه في الدين، أو أخذ العلم عن غير أهله أو على غير نهج سليم، أو تلقيه عن غير أهلية ولا جدارة.

٣- ظهور نزعات الأهواء والعصبيات والتحزبات والشعارات.

٤- الابتعاد عن العلماء وجفوتهم، وترك التلقي عنهم، وعدم الاقتداء بهم، وما نتج عن ذلك من التلقي عن دعاة السوء والفتنة والأهواء والالتفاف حولهم.

٥- التعالم والغرور، والتعالي على العلماء وعلى الناس، واحتقار الآخرين وآرائهم.

٦- حداثة السن، وقلة التجارب، والغيرة غير المتزنة؛ (عواطف بلا علم ولا حكمة).

٧- النقمة على الواقع وأهله؛ بسبب سوء الأوضاع الدينية والاقتصادية والسياسية في كثير من بلاد المسلمين، وما يترتب على ذلك من ردود الأفعال التي لا تقدر عواقب الأمور.

٨- تحدي الخصوم (في الداخل والخارج)، واستفزازهم للغيورين، وللشباب وللدعاة، وهو ما يمكن أن يطلق عليه: (المكر الكبَّار)، وكذلك كيدهم للدين وأهله، وطعنهم في السلف الصالح.

٩- قلة الصبر، وضعف الحكمة في الدعوة لدى كثير من الغيورين؛ ولا سيما بعض الشباب المتدين، ومن ذلك ضعف إدراك الكثيرين لسنن الله تعالى الكونية والشرعية، في الصراع والتدافع بين الحق والباطل، والقواعد الشرعية التي تحكم ذلك.

إذا توافرت هذه الأسباب ونحوها أو أكثرها، مهَّد هذا لظهور الغلو والتنطع، ثم التكفير واستحلال الدماء والفساد في الأرض في أي زمان وأي مكان وأي مجتمع، وبخاصة إذا انضاف إلى هذه الأسباب تقصير الولاة، وغفلة العلماء وطلاب العلم والدعاة والمربين والآباء والمتصدِّرين، عن معالجة هذه السمات وأسبابها في وقت مبكر.

أما الأسباب التي هيأت لظهور الغلو والعنف في العصر الحديث بين المسلمين في شتى بلاد العالم فهي:

أولاً: إعراض أكثر المسلمين عن دينهم، عقيدة وشريعة وأخلاقاً، إعراضاً لم يحدث مثله في تاريخ الإسلام، ويتجلى هذا الإعراض بأمور كثيرة، من كثرة البدع والعقائد الفاسدة، والعلمنة الصريحة في أكثر بلاد المسلمين، والتي أدت إلى الإعراض عن شرع الله، وإلى الحكم بغير ما أنزل الله، وظهور الزندقة والتيارات الضالة، وضعف مظاهر التقوى والورع والخشوع في حياة المسلمين اليوم.

وكل هذه الأمور تثير غيرة الشباب المتدين، وحين لا يظهر له السعي الجاد لتغيير الحال وإنكار المنكر، يلجأ بعضهم إلى التصدي لهذه الانحرافات بلا علم ولا حكمة.

ثانياً: شيوع الظلم بشتى صوره وأشكاله: ظلم الأفراد، وظلم الشعوب، وظلم الولاة وجورهم، وظلم الناس بعضهم لبعض، مما يُنمِّي مظاهر السخط والتذمر والحقد والتشفي في النفوس.

ثالثاً: تحكم الكافرين: من اليهود والنصارى والملحدين والوثنيين في مصالح المسلمين وبلادهم، مما أدى إلى تذمر المسلمين، وشعور طوائف منهم بالضيم والإذلال والإحباط، وما ينتج عن ذلك من ردود الأفعال والسخط والعنف.

رابعاً: محاربة التمسك بالدين والعمل بالسنن، والتضييق على الصالحين، وبالمقابل التمكين لأهل الفسق والفجور والإلحاد، مما يعد أعظم استفزاز لذوي الغيرة والاستقامة.

خامساً: الجهل بالعلم الشرعي، وقلة الفقه في الدين: فحين يتصدون للأمور الكبار والمصالح العظمى يكثر منهم التخبط والخلط والأحكام المتسرعة والمواقف المتشنجة، والحكم بالأهواء والعواطف، والحدّة تجاه المخالفين.

وجماع ذلك أن أصحاب الغلو والتكفير يجمعون بين الجهل والهوى والظلم، وقلة البصيرة في قواعد الشرع وعواقب الأمور.

سادساً: الجفوة بين العلماء والشباب وبين الشباب والمسؤولين: ففي أكثر بلاد المسلمين تجد العلماء -بعلمهم وحكمتهم وفقههم وتجاربهم- في معزل عن أكثر الشباب، وربما يسيؤون الظن بالكثير منهم، وفي المقابل تجد الشباب بحيويتهم ونشاطهم وهمتهم بمعزل عن العلماء، وكذلك يوجد حاجز نفسي كبير بين النخبة من الشباب، وبين العلماء والمسؤولين، تجعل كلاً منهم يسيء الظن بالآخر، ولا يفهم حقيقة ما عليه الآخر إلا عبر وسائط غير أمينة غالباً، ومن هنا يفقد الحوار الجاد وحسن الظن الذي هو أساس التفاهم والإصلاح.

سابعاً: الخلل في مناهج بعض الدعوات المعاصرة: فأغلبها تعتمد في مناهجها على الشحن العاطفي، وتربي أتباعها على أمور عاطفية غير منضبطة بضوابط الشرع وقواعد الدين، أو غايات دنيوية: سياسية واقتصادية ونحوها، وهي في الوقت نفسه قد تقصِّر في أعظم الواجبات، فتنسى الغايات الكبرى في الدعوة، من غرس العقيدة السليمة، والفقه في دين الله تعالى، والحرص على الجماعة وجمع الكلمة على العلماء وأهل الحل والعقد، وتحقيق الأمن، والتجرد من الهوى والعصبية، وفقه التعامل مع العلماء والولاة والعامة، ومع المخالفين ومع الأحداث، وفق قواعد الشرع، والتورع عن القول على الله بغير علم، وعن الخوض في أعراض الآخرين.

ثامناً: ضيق العطن وقصر النظر وقلة الصبر وضعف الحكمة: ونحو ذلك مما هو موجود لدى بعض الشباب، فإذا انضاف إلى هذه الخصال ما سبق، أدى ذلك إلى الغلو في الأحكام والمواقف.

تاسعاً: تصدُّر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام: للدعوة وتوجيه الشباب بلا علم ولا فقه، فاتخذ بعض الشباب منهم رؤساء جهالاً، فأفتوا بغير علم، وحكموا في الأمور بلا فقه، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي ولا رجوع إلى أهل العلم والفقه والتجربة والرأي، مع تنقُّص العلماء والمشايخ، ولمزهم إما بالقصور أو التقصير، أو بالجبن أو المداهنة أو العمالة، أو بالسذاجة وقلة الوعي والإدراك!

عاشراً: التعالم والغرور: فمن أسباب ظهور الغلو والعنف في بعض فئات الأمة اليوم ادعاء العلم من الكثيرين، في حين أنك تجد أحدهم لا يعرف بدهيات العلم الشرعي، والأحكام، وقواعد الدين، ونصوصه، أو قد يكون عنده علم قليل بلا أصول ولا ضوابط ولا فقه ولا رأي سديد، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين والآخرين، فيستقل بغروره عن العلماء، وينأى بنفسه عن مواصلة طلب العلم، فَيَهْلِكُ ويُهْلِكُ.

حادي عشر: التشدد في الدين والتنطع: والخروج عن منهج الاعتدال في الدين الذي كان عليه النبي ﷺ. والتشدد في الدين كثيراً ما ينشأ عن قلة الفقه في الدين، وهما من أبرز سمات أهل الأهواء عموماً والخوارج بخاصة.

ثاني عشر: شدة الغيرة وقوة العاطفة لدى فئات من الشباب والمثقفين وغيرهم: بلا علم ولا فقه ولا حكمة، مع أن الغيرة على محارم الله وعلى دين الله أمر محمود شرعاً، لكن ذلك مشروط بالحكمة والفقه والبصيرة، ومراعاة المصالح، ودرء المفاسد.

من أهم خصائص منهج الغلاة التكفيريين:

١- ضعف جانب التبيّن والتثّبت في كثير من الأحوال التي حكموا بسببها بالكفر على الدولة أو الأفراد، وعلى هذا فإن بعض القضايا والأحوال التي زعموا أنها مكفرة إما أنها لا تثبت، أو أنها تثبت على غير ما توهموا، أو أنها تثبت فعلاً لكنهم أخطأوا في تطبيق القواعد والمنهج في الحكم بالكفر على المعيّن،.

٢- يقوم منهجهم -غالباً- على التأويل المتكلف، وحمل أفعال من يحكمون عليهم على أسوأ المحامل.

٣- يجهلون قواعد الاستدلال، وبعضهم يدفعه الهوى والتهور إلى التغافل عن إعمال القواعد الضرورية في الاستدلال.

٤- وكذلك يجهلون (وبعضهم يحمله الهوى على تجاهل) قواعد التكفير، وشروط تكفير المعيّن.

٥- لا يراعون الفوارق الشرعية والطبيعية، ولا السنن الإلهية في تقدير الأمور وعواقبها؛ بسبب الاندفاع العاطفي غير المتزن، والغيرة غير المنضبطة بضوابط الشرع.

٦- لا يستفيدون -بسبب انغلاقهم- من الحوادث والتجارب والدروس والعبر التاريخية التي حدثت من أسلافهم سواء من أهل الأهواء أو الجماعات المتهورة.

٧- يجهلون (وقد يتجاهل الكثير منهم) الأصول الكبرى والقواعد العظمى التي قررها الشرع، واتفق عليها سلف الأمة، مثل: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، والمشقة تجلب التيسير، و(سددوا وقاربوا)، ونحوها.

العلاج:

١- أهمية الوضوح والشفافية والصراحة في طرح قضايا التكفير والعنف والغلو وأسبابها، والاعتراف بوجودها وآثارها.

٢- عدم الخلط بين القضايا التي لها أصول شرعية وبين ما فيه مخالفة للشرع، فالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاء والبراء ونحوها، كلها أصول عقدية وثوابت شرعية معتبرة شرعاً بشروطها، فيجب بيان الخطأ في تفسيرها وفهمها، لا إنكارها والتشكيك فيها، وعدم الخلط بينها وبين التكفير المذموم والعنف والإرهاب.

٣- كشف مواطن الإشكال واللبس والغموض في القضايا الحساسة، فتُحرَّر جميع المسائل المشكلة شرعاً، وتربطها بأصولها وقواعدها وأدلتها وفتاوى العلماء.

٤- ثم يتبع ذلك أهمية استقراء شبهات الغلاة ودعاويهم وتلبيساتهم، أو الأمور الملتبسة عليهم، وتتبع مقالاتهم ومؤلفاتهم وسائر مزاعمهم والتعرف على أساليب رؤوسهم ومرجعياتهم، ثم الرد عليهم بالحجة والدليل والبرهان الشرعي والعقلي، والأسلوب العلمي الرزين، والحوار الجاد مع المنظرين والمتبوعين منهم.

٥- وضع آلية واضحة وشاملة للعلاج مع المختصين وأهل العلم ■

الغلو الخارجي ودماء المسلمين

تغريدات من حساب الشيخ على تويتر

عبد الوهاب الطريري

١- إذا هَالَكَ استهانة جماعات الغلو الخارجي اليوم بدين المسلمين فكفروهم، وبدماء المسلمين فقتلوهم فتأمل.

٢- أن النبي ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وكان أرحم الخلق بالخلق لم يتهدد أحداً بالإبادة إلا الخوارج «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ» فعلام يدل ذلك؟

٣- قاتَل علي رضي الله عنه الخوارج وهو في ظرف عصيب وحال فتنة ومواجهة مع أهل الشام ومع ذلك جعل قتالهم أولوية، فعلام يدل ذلك؟

٤- قاتل علي رضي الله عنه المشركين مع الرسول ﷺ في بدر، وقاتل الخوارج في النهروان.

٥- قتل أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه ابن خطل عند الكعبة بأمر رسول الله، وقاتل الخوارج في الأهواز بعد خمسين سنة إتباعاً لأمر رسول الله.

٦- وعيد المصطفى ﷺ للخوارج ونفير أصحابه لقتالهم لخطورة فكرهم وخطر جماعتهم، فهم داء مدمر داخل جسد الأمة يحطم عافيتها.

٧- العجب من الخوارج الذين كفروا عليًا وهو الذي قاتل الكفار مع رسول الله ﷺ يوم كانوا هم نطفًا في أصلاب آباء مشركين.

٨- إذا رأيت شناعة ما يجري على يد الغلاة اليوم فتذكر أن سلفهم قاتلوا وقتلوا عليًا الذي بشّره الرسول ﷺ بالجنة وقال عنه: يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

٩- جُرأة الخوارج على قتال علي وصحابة رسول الله ﷺ تجعلك تفهم جرأتهم على الشناعات التي يرتكبونها اليوم في حق المسلمين.

١٠- كان الخوارج في التاريخ أعدادًا قليلة بضعة آلاف، وأحيانًا مئات ولكن أضروا بالأمة غاية الضرر؛ لأنَّ مشروعهم عدمي تدميري والتدمير سهل.

١١- إذا رأيت جرأتهم على العلماء والدعاة فتذكر قول إمامهم لرسول الله ﷺ: يا محمد اعدل فإنك لم تعدل.

١٢- إذا رأيت تعطّشهم لدماء المسلمين وكفهم عن أعدائهم فتذكر وصف المصطفى ﷺ لهم: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ».

١٣- حذر النبي ﷺ من الغلو في رمي الجمار فقال: «بِمِثْلِ هَـٰؤُلَاءِ فَارْمُوا»، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي دِينِكُمْ، فَإِنَّمَا أُهْلِكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ».

وذلك لأنَّ الغلو هاوية لا قاع لها، ولذا نرى كيف يتناهى إلى التكفير وسفك الدماء.

١٤- الخوارج على قلتهم العددية كالشوكة في باطن القدم تدمي وتؤلم وتعوق عن المسير، وهكذا هم في جسد الأمة مشروع إعاقة.

١٥- رغم تعطّش الخوارج للقتل واحترافهم للقتال فلا يعلم أنهم فتحوا للإسلام بلدًا.

١٦- قال الإمام الذهبي في السير: الرافضة أعداء الإسلام، والخوارج أعداء المسلمين.

١٧- الخلاف بين جماعات المسلمين هو المناخ الذي ينبت فيه فكر الغلو الخارجي، كما قال المصطفى ﷺ عنهم: «يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ»، ولذا فإن اجتماع الكلمة هو الذي يحصر جماعتهم، ويظهر شذوذهم ■

صفات الخوارج في السنة النبوية

عمار الصياصنة

«**الخوارج**» من الكلمات التي كثر ترددها في الآونة الأخيرة، وإطلاقها على بعض الجماعات والتنظيمات بحق وباطل، فكان لا بد من وقفة نتبين بها صفات الخوارج كما وردت في السنة النبوية حتى ننزل كل قوم منزلتهم اللائقة بهم حسب قربهم من هذه الأوصاف وبعدهم عنها.

ولم يأت في السنة النبوية تحذير من فرقة بعينها من فرق هذه الأمة إلا الخوارج، فقد ورد فيها أكثر من عشرين حديثاً بسند صحيح أو حسن، وما ذلك إلا لضررهم الجسيم على الأمة، والتباس أمرهم على الناس واغترارهم بهم؛ إذ ظاهرهم الصلاح والتقوى، ولأن مذهبهم ليس قاصراً على الآراء والأفكار، بل يتعدى ذلك إلى سفك الدماء.

فمن صفاتهم الثابتة في السنة بسند صحيح أو حسن:

١- صغار السن: فهم في غالبهم شباب صغار، يقل بينهم وجود الشيوخ والكبار من ذوي الخبرة والتجارب، قال عنهم النبي ﷺ: «حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ»، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٨٧/١٢): «وَالْحَدَث: هُوَ الصَّغِيرُ السِّنّ».

٢- الطيش والسَّفه: فعامة الخوارج ومن يتبنى فكرهم من الشباب الذين تغلب عليهم الخفة والاستعجال والحماس، وقصر النظر والإدراك، مع ضيق الأفق وعدم البصيرة، كما جاء في الحديث المتفق عليه: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ»، والأحلام: الألباب والعقول، والسفه: الخفة والطيش.

قال النووي: «يُسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّ التَّثَبُّتَ وَقُوَّةَ الْبَصِيرَةِ تَكُونُ عِنْدَ كَمَالِ السِّنِّ وَكَثْرَةِ التَّجَارِبِ وَقُوَّةِ الْعَقْلِ»، نقله عنه الحافظ في الفتح.

٣- الغرور والتعالي: فالخوارج يُعرفون بالكبر والتعالي على عباد الله، والإعجاب بأنفسهم وأعمالهم، ولذلك يُكثرون من التفاخر بما قدموه وما فعلوه!!

قال ﷺ: «إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدْأَبُونَ، حَتَّى يُعْجَبَ بِهِمُ النَّاسُ، وَتُعْجِبَهُمْ نُفُوسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ». رواه أحمد بسند صحيح.

ويدفعهم غرورهم لادعاء العلم، والتطاول على العلماء، ومواجهة الأحداث الجسام، بلا تجربة ولا روية، ولا رجوع لأهل الفقه والرأي.

٤- الاجتهاد في العبادة: فهم أهل عبادة من صلاة وصيام وقراءة وذكر وبذل وتضحية، وهذا مما يدعو للاغترار بهم، ولذا جاء البيان النبوي واضحاً في التنبيه على هذه الصفة فيهم: «لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ» رواه مسلم. وقال: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ»، متفق عليه. وإذا كان الصحابة رضي الله عنهم يحتقرون صلاتهم مع صلاة الخوارج، فكيف بغير الصحابة؟! ولما لقيهم عبد الله بن عباس قال: «فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ أَرَ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ، أَيْدِيهِمْ كَأَنَّهَا ثَفِنُ الْإِبِلِ (أي غليظة)، وَوُجُوهُهُمْ مُعَلَّمَةٌ مِنْ آثَارِ السُّجُودِ». رواه عبد الرزاق في المصنف (١٥٨/١٠).

٥- سوء الفهم للقرآن: فهم يكثرون من قراءة القرآن والاستدلال به، لكن دون فقه وعلم، بل يضعون آياته في غير موضعها، ولهذا جاء وصفهم في الأحاديث: «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ»، «يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»، «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ».

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: «لَيْسَ حَظّهمْ مِنْ الْقُرْآن إِلَّا مُرُوره عَلَى اللِّسَان، فَلَا يُجَاوِز تَرَاقِيهمْ لِيَصِل قُلُوبهمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ هُوَ الْمَطْلُوب، بَلْ الْمَطْلُوب: تَعَقُّله، وَتَدَبُّره بِوُقُوعِهِ فِي الْقَلْب».

وقال شيخ الإسلام: «وَكَانَتْ الْبِدَعُ الْأُولَى مِثْلُ بِدْعَةِ الْخَوَارِجِ إنَّمَا هِيَ مِنْ سُوءِ فَهْمِهِمْ لِلْقُرْآنِ، لَمْ يَقْصِدُوا مُعَارَضَتَهُ، لَكِنْ فَهِمُوا مِنْهُ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ» مجموع الفتاوى.

ولذلك قال فيهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَى المُؤْمِنِينَ» ذكره البخاري تعليقاً.

قال ابن حجر: «كَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ لِشِدَّةِ اجْتِهَادِهِمْ فِي التِّلَاوَةِ وَالْعِبَادَةِ إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ الْمُرَادِ مِنْهُ، وَيَسْتَبِدُّونَ بِرَأْيِهِمْ، وَيَتَنَطَّعُونَ فِي الزُّهْدِ وَالْخُشُوعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ» فتح الباري لابن حجر.

٦- الكلام الحَسَنُ المنمَّق: فكلامهم حسن جميل، لا ينازع أحد في حلاوته وبلاغته!!، فهم أصحاب منطق وجدل، يدعون لتحكيم الشريعة وأن يكون الحكم لله ومحاربة أهل الردة والكفر، ولكن فعالهم على خلاف ذلك!!.

كما قال عنهم النبي ﷺ: «يُحْسِنُونَ الْقِيلَ، وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ»، «يَتَكَلَّمُونَ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ»، «يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ».

قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: «أَي يَتَكَلَّمُونَ بِبَعْض الْأَقْوَال الَّتِي هِيَ من خِيَار أَقْوَال النَّاس فِي الظَّاهِر، مثل: إن الحكم إلا لله، ونظائره كدعائهم إلى كتاب الله».

٧- التكفير واستباحة الدماء: وهذه هي الصفة الفارقة لهم عن غيرهم؛ التكفير بغير حق واستباحة دماء المخالفين لهم، كما قال عنهم النبي ﷺ: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ» متفق عليه. وهذا «مِنْ أَعْظَم مَا ذَمَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ الْخَوَارِجَ» مجموع الفتاوى.

وسبب قتلهم لأهل الإسلام: تكفيرهم لهم، قال القرطبي في (المفهم): «وذلك أنهم لما حكموا بكفر مَن خرجوا عليه من المسلمين، استباحوا دماءهم».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فَإِنَّهُمْ يَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُمْ مُرْتَدُّونَ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحِلُّونَ مِنْ دِمَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَيْسُوا مُرْتَدِّينَ» مجموع الفتاوى.

وقال: «وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي بِدْعَتِهِمْ، وَيَسْتَحِلُّونَ دَمَهُ وَمَالَهُ، وَهَذِهِ حَالُ أَهْلِ الْبِدَعِ يَبْتَدِعُونَ بِدْعَةً وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِيهَا»، مجموع الفتاوى.

والتكفير عند الخوارج له صور كثيرة: كتكفير مرتكب الكبيرة، أو التكفير بما ليس بذنب أصلاً، أو التكفير بالظن والشبهات والأمور المحتملة، أو بالأمور التي يسوغ فيها الخلاف والاجتهاد، أو دون التحقق من توفر الشروط وانتفاء الموانع، ولا يَعذرون بجهل ولا تأويل، ويكفرون بلازم الأقوال ومآلاتها، ويستحلون دماء من يكفرونهم دون قضاء ولا محاكمة ولا استتابة.

ولهذا قال عنهم النبي ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، «فشبَّه مروقهم من الدّين بالسَّهم الَّذي يُصيب الصَّيْد فَيدْخل فِيهِ وَيخرج مِنْهُ من شدَّة سرعَة خُرُوجه لقُوَّة الرَّامِي، لَا يعلَق من جَسَد الصَّيْد بشَيْء» عمدة القاري.

وفي صحيح مسلم: «هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»، وعند أحمد بسند جيد: «طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ».

قال ابن حجر: «وَفِيهِ أَنَّ الْخَوَارِجَ شَرُّ الْفِرَقِ الْمُبْتَدِعَةِ مِنَ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ» فتح الباري.

٨- اتخاذهم شعارًا يتميزون به عن سائر الناس:

ولهم في كل عصر وزمان شعار يتميزون به عن الناس، وقد يكون هذا الشعار في الراية، أو لون اللباس، أو هيئته، أو غير ذلك. وقد كان شعارهم في زمن علي بن أبي طالب حلق شعر رؤوسهم، كما أخبر عنهم النبي ﷺ بقوله: «سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ». رواه البخاري. قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٤٩٧/٢٨): «وَهَذِهِ السِّيمَا سِيمَا أَوَّلِهِمْ كَمَا كَانَ ذُو الثُّدَيَّةِ؛ لَا أَنَّ هَذَا وَصْفٌ لَازِمٌ لَهُمْ». وقال القرطبي: «(سيماهم التحليق) أي: جعلوا ذلك علامة لهم على رفضهم زينة الدّنيا، وشعارًا ليُعرفوا به». المفهم (٩١/٩).

وهذا الشعار قد يختلف من مكان لمكان، ومن زمان لزمان ■

من علماء سوريا

عليٌّ الطنطاويُّ الدِّمشقيُّ (رحمه الله)

(ت ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)



ولد الشيخ علي بن مصطفى الطَّنطاويُّ، في دمشق في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٢٧هـ، الموافق ١٢ حزيران/ يونيو ١٩٠٩م، لأسرة عُرف أبناؤها بالعلم، فقد كان أبوه، الشيخ مصطفى الطنطاوي، من العلماء المعدودين في الشام وانتهت إليه أمانة الفتوى في دمشق. وأسرة أمه أيضًا (الخطيب) من الأسر العلمية فيها.

تلقَّى تعليمه النِّظاميَّ في العديد من المدارس، وكان من أوائل الذين جمعوا في الدراسة بين طريقي التلقي على المشايخ والدراسة في المدارس النظامية، حتى استقرَّ أخيرًا في مكتب عنبر الذي كان هو الثانويةَ الوحيدةَ في دمشق، وتخرج فيها سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.

ثم التَحق بدار العلوم في مصر، ثم عاد إلى دِمشق قبل أن يُكمل دراسته، ودرس الحقوق ونال شهادتها سنة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٣م، وشارك في الحراك الطلابي حيث شُكِّلت لجنةٌ للطلبة سُميت «اللجنة العليا لطلاب سوريا» وانتُخب رئيسًا لها وقادها نحوًا من ثلاث سنين. وكانت هذه الجنة بمثابة اللجنة التنفيذية للكتلة الوطنية التي كانت تقود النضال ضد الاستعمار الفرنسي للشام، وهي التي كانت تنظم المظاهرات والإضرابات، وهي التي تولت إبطال الانتخابات المزورة سنة ١٣٥١هـ - ١٩٣١م.

نشر علي الطنطاوي أول مقالة له في جريدة عامة عام ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م، وكان في السابعة عشرة من عمره. بعد هذه المقالة لم ينقطع عن الصحافة والكتابة قط، واستمر في الكتابة في العديد من الصحف.

من أبرز مآثره في سوريا، أنَّه قمَع الملاحدة والعلمانيِّين في أيَّامهم الأولى، وجابَهم في كلِّ مكان، وصحَّح مسار العلماء والمشايخ في الأوقاف، إضافةً إلى جهاده ضدَّ المستعمِر الفَرنسيِّ، ودِفاعه عن قضية فلسطين والجزائر، انتقل إلى مكة عام ١٩٦٤م ومكث فيها ٣٥ سنة حتى توفي ودفن فيها، من مؤلَّفاته (فصول إسلامية)، و(في سبيل الإصلاح)، و(تعريف عام بدِين الإسلام)، و(فتاوى علي الطنطاوي)، وغيرها من الكتُب.

بدأ علي الطنطاوي بالتعليم ولمّا يَزَلْ طالباً في المرحلة الثانوية، حيث درّس في بعض المدارس الأهلية بالشام وهو في السابعة عشرة من عمره،، وبقي في التعليم الابتدائي إلى سنة ١٩٣٥م. وكانت له مواقف جريئة في مقاومة الفرنسيين وأعوانهم.

إلى أن منح إجازة «قسرية» في أواخر سنة ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م، فانتقل إلى سلك القضاء، ليمضي فيه خمسة وعشرين عامًا، حتى وصل إلى مستشار لمحكمة النقض في الشام، ثم مستشارًا لمحكمة النقض في القاهرة أيام الوحدة مع مصر.

كُلِّف عام ١٩٤٧م بوضع قانون للأحوال الشخصية، وصار هذا المشروع أساساً للقانون الحالي وأُشير إلى ذلك في مذكرته الإيضاحية.

في عام ١٩٦٣م سافر إلى الرياض مدرّسًا في جامعاتها، ثم تنقَّل فيها لإلقاء الدروس والمحاضرات، وانتقل إلى مكة ليمضي فيها (وفي جدّة) خمساً وثلاثين سنة، حتى وفاته في عام ١٩٩٩م.

تفرّغَ للفتوى في الحرم -في مجلس له هناك- أو في بيته ساعات كل يوم، ثم بدأ برنامجيه: «مسائل ومشكلات» في الإذاعة و«نور وهداية» الذين قُدر لهما أن يكونا أطول البرامج عمراً في تاريخ إذاعة المملكة ورائيها، بالإضافة إلى برنامجه الأشهر «على مائدة الإفطار».

هذه السنوات الخمس والثلاثون كانت حافلة بالعطاء الفكري للشيخ، ولا سيما في برامجه الإذاعية والتلفازية التي استقطبت -على مرّ السنين- ملايين المستمعين والمشاهدين وتعلّقَ بها الناس على اختلاف ميولهم وأعمارهم وأجناسهم وجنسياتهم. ولم يكن ذلك بالأمر الغريب؛ فلقد كان علي الطنطاوي من أقدم مذيعي العالم العربي، بل لعله من أقدم مذيعي العالم كله؛ فقد بدأ يذيع من إذاعة الشرق الأدنى من يافا من أوائل الثلاثينيات، وأذاع من إذاعة بغداد سنة ١٩٣٧م، ومن إذاعة دمشق من سنة ١٩٤٢م لأكثر من عقدين متصلين، وأخيراً من إذاعة المملكة ورائيها نحواً من ربع قرن متصل من الزمان.

آثر علي الطنطاوي ترك الإذاعة والتلفزيون حينما بلغ الثمانين. ثم اعتزل الناس إلا قليلاً من المقربين إلى أن توفي بعد عشاء يوم الجمعة، ١٨ حزيران عام ١٩٩٩م الموافق ٤ ربيع الأول ١٤٢٠هـ، في قسم العناية المركزة في مستشفى الملك فهد بجدة، ودُفن في مكة المكرمة في اليوم التالي بعدما صُلّي عليه في الحرم المكي الشريف ■

كانَ إبراهيمُ النخعيُّ -رحمهُ اللهُ تعالى- أعورَ العينِ وكان تلميذهُ سليمانُ بنُ مهران أعمشَ العينِ (ضعيفُ البصر)، وقد روى عنهما ابنُ الجوزيّ في كتابه (المنتظم): «أنَّهما سارا في أحد طرقات الكوفةِ يريدانِ الجامعَ، وبينما هما يسيرانِ في الطريقِ قالَ الإمامُ: يا سليمان! هل لك أن تأخذ طريقاً و آخذ آخر؟ فإني أخشى إن مررنا سويًا بسفهاء، ليَقولونَ أعورٌ ويقود أعمش! فيغتابوننا فيأثمونَ!

فقالَ الأعمشُ: يا أبا عُمران! وما عليك في أن نؤجر ويأثمونَ؟!

فقال إبراهيم النخعي: يا سُبحانَ اللهِ! بل نسلمُ ويسلمون خيرٌ من أن نؤجر ويأثمونَ».

أيُّ نفوسٍ نقيةٍ هذه! والتي لا تريدُ أن تسلمَ بنفسها! بل تسلمُ ويسلمُ غيرُها!

مناقشة ابن عباس للخوارج..

دروس وعبر

د. معن عبد القادر*

أصول ودروس مستفادة من أثر ابن عباس في مناقشة الخوارج:

أولاً: لقد أُتي الخوارج من قبل فهمهم السقيم لنصوص الشرع، ويرجع ضلالهم إلى أسباب أهمها:

١- فهم النصوص ببادئ الرأي، وسطحية ساذجة، دون التأمل والتثبت من مقصد الشارع من النصوص، فوقعوا في تحريف النصوص وتأويلها عن معناها الصحيح.

٢- أخذهم ببعض الأدلة دون بعض، فيأخذون بالنص الواحد، ويحكمون على أساس فهمهم له دون أن يتعرفوا على باقي النصوص الشرعية في المسألة نفسها، فضربوا بعض النصوص ببعض «وبهذا أسكتهم ابن عباس رضي الله عنهما، فقد كان يأتيهم بباقي الأدلة في الموضوع نفسه، فلا يجدون لذلك جوابًا».

يقول الشاطبي رحمه الله: أن أصل الضلال راجع إلى «الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم».

ثانياً: الحرص على وحدة المسلمين وجماعتهم، وتوحد صفهم، وهذا ظاهر من موقف علي رضي الله عنه ابتداء «فيقول: دعهم حتى يخرجوا، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوا وسوف يفعلون» فكان رضي الله عنه حريصًا على أن لا يأتي إلى الخوارج بشيء من القتال ونحوه يفرق به المسلمين، ويضعف شوكتهم، ما لم يخرجوا هم عليه، أو يؤذوا المسلمين ببدعتهم.

فهذا الذي ينبغي أن يكون عليه المسلمون من الامتناع عما يضعف شوكتهم، ومن بذل الجهد في جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم، ولابد أن نُتْبِع هذا الأصل بأصل آخر وهو:

ثالثًا: ولعله من أصل الأصول وأعظمها لكثرة ما تشتد إليه حاجة المسلمين ألا وهو «السبيل إلى وحدة المسلمين وجمع صفهم».

إن وحدة المسلمين أصبحت مقولة يقولها كل مسلم، وكل جماعة، فالكل ينادي بالوحدة والكل يزعم أنه ساع إليها حريص عليها، ولكن ما هو السبيل الحق إلى تحقيق هذه الوحدة، هنا موضع الخلاف.

إن وحدة المسلمين مطلب شرعي ومقصد عظيم من مقاصد الشريعة، فلا بد أن تكون الوسيلة إليه شرعية. إن وحدة المسلمين يجب أن تكون عبادة نتقرب بها إلى الله عز وجل، والله لا يعبد إلا بما شرع، وكل عمل ليس عليه أمر الشرع فهو رد كما أخبر بذلك الرسول ﷺ.

إن وحدة المسلمين بمعناها الشرعي الصحيح، تعني أن يعودوا جميعًا إلى الفهم الصحيح لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ على فهم السلف الصالح، هكذا وهكذا - فقط - يمكن أن نتحد، وهذا هو السبيل الوحيد لوحدة الصف، وهذا الذي سلكه ابن عباس وأقره عليه علي رضي الله تعالى عنهما.

ذهب ابن عباس -رضي الله عنهما- إلى الخوارج حتى يعيدهم إلى الصف الإسلامي، فبين لهم أولاً وقبل أن يناظرهم المنهج الصحيح، فقال: «أرأيت إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيه ﷺ مالا تنكرون...» إذن هو الكتاب والسنة والعودة إليهما، وقد كان صرح لهم قبل ذلك بالفهم الذي ينبغي أن نفيء إليه إذا اختلفت أفهامنا فقال: «جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ومن عند صهره، عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله».

وبعد أن بين لهم المنهج شرع يدحض حجتهم، ويفند شبهتهم، ويوضح فساد منهجهم فمن عاد منهم وتنازل عن معتقداته وآرائه، واعتقد اعتقاد جماعة المسلمين فقد عاد إلى الصف، ومن أبى وأصر على معتقده فهو خارج على الصف ولا سبيل للوحدة معه، بل عندما آثار بقية الخوارج الفتنة، قام إليهم علي رضي الله عنه فقاتلهم ولم يتحرج في ذلك.

إن الوحدة التي تنشأ عن ضم الطوائف المختلفة في الأصول في دائرة واحدة، وإعطائها مسمى واحد على اختلاف عقائدها، هي وحدة غير شرعية، وإن الصف الذي ينشأ عنها ليس مرصوصًا.

ولنتأمل في قول الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾، ثم قال: ﴿وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾.

يقول الشاطبي رحمه الله تعليقًا على الآية: «تبين أن التأليف إنما يحصل عند الائتلاف على التعلق بمعنى واحد، وأما إذا تعلقت كل شيعة بحبل غير ما تعلقت به الأخرى فلابد من التفرق وهو معنى قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾».

إذن فتضييع الأصول من أجل الوحدة سبيل غير شرعي، بل هو فوق ذلك عمل لا يقره العقل.

إن كل مسلم مخلص صادق غيور يحزن على حال المسلمين، ويغتم له ويتأسف عليه أسفًا شديدًا، ولكن ليس الحل أبدًا أن نفرط في الأصول من أجل تحقيق أمر قد قرر الشارع أنه لا يكون، كيف وقد أمرنا الله بقتال طائفة من المسلمين إن بغت وهل يكون القتال إلا تفرقة؟ بل وفيه ما هو أشد من ذلك، ولكنه أمر الله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

رابعًا: الحكم في تقييم الرجال: إن أحوال الخوارج من كثرة العبادة والاجتهاد فيها غير خافية على أحد، كما ورد في وصف الرسول ﷺ والصحابة لهم، ومع كل هذا فلقد أتوا ببدعة خطيرة، ووضعوا بذور الخلاف بين المسلمين.

إن المنهج الإسلامي الواضح، يدلنا على أنه يجب تقييم الرجال أولاً من منطلق معتقداتهم وتصوراتهم، وجميع السمات الأخرى - إذا أقرها الشرع - تأتي بعد ذلك لا قبله.

لقد شاع تعظيم بعض الرجال وتقديسهم على ما هو أقل من ذلك، مثل قدمه في مجال الدعوة، أو كثرة الأفراد الذين اهتدوا على يديه، أو شدة التعذيب الذي لاقاه من الطغاة، أو طول فترة السجن في زنزاناتهم. ولا نعني بكلامنا أبداً أن مثل تلك الأعمال لا وزن لها، بل لها فضل عظيم إن صح الأصل الأول، وحتى لو لم يصح فنحن نعترف بالحق، ونثبت الفضل لكل صاحب فضل، ولكن المحظور هو الانسياق وراء العواطف، فنعظم الرجال ونتحمس لهم، ونشهد بعدلهم وصدقهم ونزاهتهم، بل وكثيرًا

ما نسمع من يشهد لهم بالجنة !! لأجل اعتبار من تلك الاعتبارات.

خامساً: إن تبني الخوارج لموقفهم ابتداءً لم يكن عن تثبت وتمحيص ونظر، ولذلك فقد زالت شبهتهم، ودُحضت حجتهم بعد دقائق معدودة من بداية المناظرة، وإن كان القسم من الخوارج الذي فاؤوا إلى الحق يمدحون على ذلك لتجردهم وإخلاصهم، وعودتهم إلى الجادة الصحيحة حينما تبين لهم ذلك دون مماراة ولا مماطلة، وإن كانوا يمدحون على ذلك فإنهم ينتقدون على سرعة تبنيهم للفكرة ابتداء دون تثبت وتمحيص.

إن الذين لا يعتنقون الفكرة عن اقتناع عميق بالفكرة ذاتها، وبعد تثبت من أدلتها الشرعية الصحيحة بمنهج سليم، يكثرون التنقل.

إن الدعوة المعاصرة تواجه تحديات ضخمة، ومشاكل عدة، من الداخل والخارج، فما لم يكن أصحابها على قناعة شرعية قوية بأفكارهم، وبأدلتها فإنه لا يؤمن عليهم التذبذب بين الصف والصف إن بقي عندهم الحماس للإسلام، أو الانتكاس إن فقدوا حماسهم لدينهم.

سادسًا: إن مخالفة ابن عباس التامة للخوارج في جميع الأفكار والتصورات لم تمنعه من العدل في القول، فقد كان بمقدوره السكوت لكن العدل مع المخالفين جعله يصفهم بما وجد فيهم -وإن كان في هذا الوصف مدح لهم- قال: «فدخلت على قوم لم أر قط أشد اجتهادًا منهم في العبادة...» فعلى العاملين في حقول الدعوة إلى الله الاتصاف بالعدل مع مخالفيهم، وعدم الامتناع من ذكر محاسنهم، بل ويحرصوا على أن يستفيدوا منها.

سابعًا: وما كان هذا الدرس بحاجة إلى أن يذكر لظهوره ووضوحه وكثرة الأدلة عليه، لولا أن التفريط فيه قد وقع من كثير من العاملين للإسلام فضلاً عن عامة الناس، ألا وهو الحرص على صلاة الجماعة. ولقد سمعنا حوادث عديدة عمن يفرطون في حضور الصلاة جماعة مع المسلمين في المساجد بحجة انشغالهم بطلب العلم، أو ببعض البحوث الهامة، أو أنه وإخوانه يتداولون أمرًا يهم المسلمين، فيعتذرون بذلك عن تفويتهم الجماعة.

فعلى هؤلاء وغيرهم، أن يتأملوا في حال ابن عباس، وقد انتدب نفسه لمهمة عظيمة، لا شك في أن فيها مصلحة للمسلمين، ومع ذلك فحرصه على صلاة الجماعة شديد إذ يقول لعلي رضي الله عنه: «أبرد عن الصلاة، فلا تفتني حتى آتي القوم فأكلمهم».

ثامنًا: ينبغي على الدعاة إلى الله عز وجل، من أصحاب المنهج الصحيح ألا ييأسوا من عودة الطوائف المنحرفة إلى المنهج القويم ممن أمعنوا في الضلال، فها هم الخوارج على شدة بدعتهم وتمسكهم بها ومع ذلك فقد عاد منهم كثير إلى الحق بعد أن تبين لهم، فلا ينبغي أن نيأس من عودة تلك الطوائف المنحرفة إلى الحق، خاصة وأن كثيرًا من المنتسبين إليها هم من الأتباع حجبهم مشايخهم ومتبوعوهم عن الاستماع للمخلصين خوف تذبذب موقفهم وتخليهم عنهم، فلم يصل الحق إلى كثير من الأتباع حتى تحصل لهم المقارنة بينه وبين ما هم عليه.

فعلى الدعاة إلى الله أن يحرصوا على الوصول إلى الأتباع بعيدًا عن الملأ والمشايخ والقادة.

هذا، ولا يزال في القصة دروس عظيمة، منها أسلوب المناظرة والجدل مع أهل البدع ولعلنا نفرد هذا في مقال خاص، ونشير في الختام إلى بعض الدروس الأخرى الهامة، التي لا يتسع المقام للتفصيل فيها، ولعل في الإشارة إليها كفاية لأولي الألباب ■

❖ باختصار، وللوقوف على كامل المقال يمكن الرجوع لموقع الهيئة.

نشر أصل هذا المقال في مجلة البيان عدد شوال ١٤٠٨هـ (أي قبل ٢٦ سنة)

واحـــة الشعـــــر

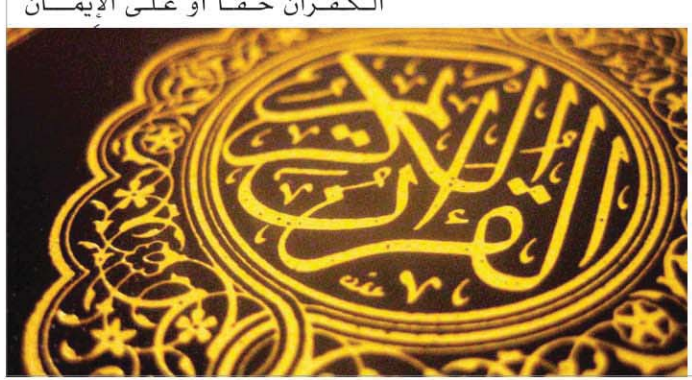
عقيدة المسلم

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

يا سَائِلي عَنْ مَذْهَبِي وعَقيدَتي ... رُزِقَ الهُدى مَنْ للهِدايةِ يَسْأَلُ
اسمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ في قَولِه ... لا يَنْثَني عَنهُ ولا يَتَبَدَّلُ
حُبُّ الصَّحابَةِ كُلُّهُمْ لي مَذْهَبٌ ... وَمَوَدَّةُ القُرْبى بها أَتَوَسَّلُ
وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ وَفَضْلٌ ساطِعٌ ... لكنَّما الصِّديقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ
وأُقِرُّ بالقُرآنِ ما جاءَتْ بِه ... آياتُهُ فَهُوَ القَديمُ المُنْزَلُ
وجميعُ آياتِ الصِّفاتِ أُمِرُّها ... حَقاً كما نَقَلَ الطِّرازُ الأَوَّلُ
وأَرُدُّ عُقْبَتَها إلى نُقَّالِها ... وأصونُها عن كُلِّ ما يُتَخَيَّلُ
قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ الكِتابَ وراءَهُ ... وإذا اسْتَدَلَّ يقولُ قالَ الأخطَلُ
والمؤمنون يَرَوْنَ حقاً رَبَّهُمْ ... وإلى السَّماءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ
وأُقِرُّ بالميزانِ والحَوضِ الذي ... أَرجو بأنِّي مِنْهُ رَيّاً أَنْهَلُ
وكذا الصِّراطُ يُمَدُّ فوقَ جَهَنَّمٍ ... فَمُوَحِّدٌ ناجٍ وآخَرُ مُهْمَلُ
والنَّارُ يَصْلاها الشَّقيُّ بِحِكْمَةٍ ... وكذا التَّقيُّ إلى الجِنانِ سَيَدْخُلُ
ولِكُلِّ حَيٍّ عاقلٍ في قَبْرِهِ ... عَمَلٌ يُقارِنُهُ هناكَ وَيُسْأَلُ
هذا اعتقادُ الشافعيِّ ومالكٍ ... وأبي حنيفةَ ثم أحمدَ يُنْقَلُ
فإنِ اتَّبَعْتَ سبيلَهُمْ فَمُوَحِّدٌ ... وإنِ ابْتَدَعْتَ فما عليكَ مُعَوَّلُ

من نونية ابن القيم

الْكُفْر حق الله ثُمَّ رَسُولِه ... بِالشَّرْعِ يثبت لَا بقول فلَان
من كَانَ رب الْعَالمين وَعَبده ... قد كفراه فَذَاك ذُو الكفران
فَهَلُمَّ وَيحكم نحاكمكم إلى ... النصين من وَحي وَمن قُرْآن
وَهُنَاكَ يعلم أَي حزبينا على ... الكفران حَقًا أَو على الْإِيمَان



الصحوات..
نشأتها – أسبابها – وعلاجها

أبو عبد الملك
شرعي في الجبهة الإسلامية

الصحوات اسم للخنجر الذي أنهك الجهاد في العراق وأخره ومزق كثيرًا من المجاهدين وشردهم.

بدأت الصحوات بإنشاء مليشيا قبلية بدعوى حفظ الأمن وحماية المناطق السنية ثم انتقلت لقتال المجاهدين لنفس الدعاوى.

الذي زاد من ضرر الصحوات أنها نشأت من داخل البيئة السنية وقبائلها العريقة فتمكنت من تفكيك كثير من مجموعات العمل الجهادي بالمناطق السنية.

تحليل قضية الصحوات التي وقعت في العراق متعين على المجاهدين عامة وفي بلاد الشام خاصة.

والمؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين.

لظهور الصحوات أسباب كثيرة تداخلت وتفاعلت فأدت لهذه النتيجة المريرة من أفعال العدو ومن واقع البيئة ومن واقع المجاهدين المنحرفين في الفهم.

أفعال العدو في صناعة الصحوات:

١- شدة ضغط العدو.
٢- إغراءات المال والسلاح.
٣- التغلغل المخابراتي.
٤- تجنيد المعتقلين.

واقع البيئة في ظهور الصحوات:

١- الطبيعة العشائرية.
٢- ضعف الوازع الديني.
٣- انتشار البدع وضعف الوعي.
٤- الخوف والفقر.
٥- الملل من طول الحرب.

واقع المجاهدين:

١- تمييع البعض لكثير من القضايا التنافس والتقاتل بين بعض الجماعات المجاهدة.
٢- الغلو والتنطع.
٣- عدم فهم السياسة الشرعية النبوية.

- **علينا جميعا الوقاية من أسباب مرض الصحوات الفتاك الذي لا** يبقي ولا يذر، ولا يستفيد منه إلا أعداء الله.
- **علينا بإنزال الناس منازلهم**، والاهتمام بأعيان المجتمع والتواصل معهم، وجعلهم قادة المجتمع.
- **إشكاليات كثيرة تسببها كثرة تقديم المهاجرين على الأنصار في إدارة شؤون المجتمع**. فلنتنبه لها ولا نقع فيها.
- **جعل مدار حل النزاعات هو الرضا بشرع الله** عز وجل دون تعنت في اشتراط قاض معين أو محكمة جماعة بعينها.
- **عدم استعداء الجماعات التي بها كدر** والعمل المتدرج في احتوائها أو تحييدها.
- **التفريق التام بين قتال التنافس والمعاداة والمظاهرة للكفار**، وبين موالاة قائد للكفار خفية وانضمام الجنود لتنظيمه.
- **ليس ظهور أمير جماعة مع أمريكي مكفرًا له فضلاً** عن تكفير جماعته.
- **استغلال الأماكن المحررة الآمنة في توفير محاضن تربوية وعلمية** جيدة وتواصل مباشر وآمن بين المجاهدين.
- **التأني الشديد في مسائل التكفير والتبديع** والبعد عن التخوين بالظنون والأوهام والوساوس والتخيلات. والأصل عصمة دم المسلم فلا يستباح بالظن والتخرص.
- **الالتزام بتوجيهات أهل العلم** المعروفين بنصحهم للمجاهدين وعدم التقدم بين أيديهم والإعلان عن مواقفهم والحذر الحذر من أصحاب المعرفات النكرات.
- **استغلال فشل تجربة الصحوات في العراق في التنفير منها** وكذا فشل التجارب المميعة في العراق وفي مصر.
- **سد ذرائع التعادي والتحاسد والتقاتل بين المجاهدين** ونشر روح الأخوة والمودة والتراحم بينهم.
- **الانتباه لمكر الأعداء ومخططاتهم**، وألاعيب أجهزة المخابرات المتعددة التي تعرف كيف تفكر بعض الجماعات فتفعل ذرائع لتسييرهم من حيث لا يشعرون.
- **الاهتمام بالعمل الخدمي** وتوفير المستلزمات التي تعارف الشعب على احتياجها وتيسير الأمور المعاشية.
- **الحذر من تحول الجهاد إلى عمل نخبوي** منفك عن الشعب، فلا يشرك عامة الناس في مطالبه وقضاياه.
- **الاهتمام بالجانب الإعلامي** الذي يعكس إشراقة الحركات المجاهدة، وعدم الاستهانة بحملات التشويه التي تؤدي إلى صناعة الصحوات.
- **على الجماعات المجاهدة أن تركز جهدها في جمع الناس على الكتاب والسنة** لا على الرايات والتنظيمات؛ فإن هذا أدعى لقبول دعوتهم وأبعد عن تشويهها.
- **كل من استدار بندقيته إلى المناطق المحررة لقتال إخوته -تحت أي ذريعة- فهو يحقق الهدف الغربي من المشروع الصحوي**.. شعر بذاك أم لم يشعر.

خابت الصحوات وخسرت دنياها قبل أخراها، وإجهاضها للمشروع الإسلامي العراقي في ميزان سيئاتها. وبقي مفهوم الصحوات يتردد على كل من قاتل المجاهدين ■

سلوك وتهذيب



كيف تنظر لغيرك؟!!

عمر بن عبد المجيد البيانوني

إنَّ مِنَ الناسِ مَنْ يَنظُرُ إلى غيره نظرةً مملوءةً بالشكِّ وسُوءِ الظنِّ وعَدَمِ التماسِ العُذْرِ للآخَرينَ، فتَرَاه لا يَنظُرُ إلا إلَى الجانبِ السيءِ فيهم، ويُضَخِّمُ الأخطاءَ التي عندَهُم ويُغْفِلُ الحسناتِ الموجودةَ فيهم..

إنَّ مَنْ يُعَاني مِنَ القَحْطِ والجَدْبِ الرُّوحيِّ والخُلُقيِّ إذا رأى مائةَ حسنةٍ من إنسانٍ وسيئةً واحدةً، أغفلَ المائةَ حسنةً وقامَ بتضخيمِ السيئةِ الواحدةِ، واكتشفَ بأنَّهُ كان مخدوعاً به والآن عَرَفَهُ على حقيقتِهِ، وعَرَفَ أنَّ حسناتِه، لم تكنْ إلا للتغطيةِ على سيئاتِه!

ولا يستطيعُ أنْ يكونَ مُنْصِفاً ومُحْسِناً للظَّنِّ بغيرِهِ ويقول: إنَّ هذه السيئةَ ليست إلا زلةً غيرَ مقصودةٍ وهي مغمورةٌ في بحرِ حسناتِه..

إنَّ النظرةَ السليمةَ والإيجابيةَ للأشياءِ هي طريقُكَ إلى السعادةِ والفلاحِ، فحينَ تكونُ النفسُ سليمةً جميلةً ترى الأشياءَ بصورتِهَا الإيجابيةِ، وتجعلُ مِنَ المِحَنِ مِنَحاً وعطايا وفوائدَ عظيمةً.

وحينَ يكونُ المعدنُ أصيلاً، والقلبُ صافياً سليماً، فلَنْ تجدَ مِنْ صاحبِهِ إلا خيراً عميماً، وفضلاً جسيماً..

وحين يكون الأصلُ الشريفُ معدوماً، والباطنُ خواءً فارغاً مذموماً، والإحساسُ بالجمالِ مفقوداً، فلا تنتظرْ إلا شراً مَهِيناً وضلالاً مبيناً.

إنَّ المؤمنَ لا يَظُنُّ بأخيهِ إلا خيراً، ولا يُفَسِّرُ تَصَرُّفَاتِ غيرِهِ إلا على أحسنِ المحاملِ، وكيفَ لا يكونُ حَسَنَ الظنِّ بغيرِه وهو يقرأُ قولَ الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

وهو يَسمَعُ قولَ النبيِّ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ» متفق عليه.

فحتى ترتاحَ نفسُك، ويهدأَ ضميرُكَ، لا بُدَّ أنْ تكونَ واسعَ الصَّدْرِ، فأعقلُ الناسِ وأسعدُهُمْ هو أعذرُهُمْ للناسِ، وأبعدُهُمْ عَنِ العقلِ والحكمةِ هو أسرعُهُمْ لَوماً وأقلُّهم تحققاً وتثبُّتاً فيما صَدَرَ عنهم.

فما أجملَ أنْ يَعْذُرَ بعضُنَا بعضاً، فأنتَ لا تَعلمُ ظُرُوفَ الآخَرينَ الغائبةَ عنك، ولا تدري ما الذي قادَهُ إلى ذلك التصرُّفِ الذي لم يعجبْكَ.

فعنْدَمَا تَجِدُ مِنْ أحدٍ خطأً أو موقفاً لا يليقُ فِعْلُهُ، فما عليكَ إلا أنْ تَلْتَمِسَ الأعذارَ له، فقد يكونُ هناك أسبابٌ لا تَعْرِفُهَا عنه جَعَلَتْهُ يتصرَّفُ ذلك التصرُّفَ..

وكيف لا يلتمسُ العاقلُ الأعذارَ لغيرِه، وهو يعلمُ أنَّ الناسَ مطبوعونَ على الضَّعْفِ والتقصيرِ، وهو لا يَرَى الكمالَ في نفسِهِ، فكيفَ يرجو الكمالَ ويطلبُهُ منهم؟

قال عمرُ بنُ الخطابِ: «لا تَظُنَّنَّ بكلمةٍ خَرَجَتْ مِنْ مسلمٍ شراً، وأنتَ تجدُ لها في الخيرِ مَحمَلاً».

إنَّ إحسانَ الظنِّ بالناسِ يحتاجُ إلى كثيرٍ من المجاهدةِ للنفسِ ليَحْمِلَهَا على ذلك، فالشيطانُ يَجْرِي مِنَ الإِنسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، ولا يَفْتُرُ ولا يَمَلُّ مِن التفريقِ بينَ المسلمينَ والتحريشِ بينهم والتحريضِ عليهم، وأهمُّ الأسبابِ التي تقطعُ الطريقَ على الشيطانِ: هو إحسانُ الظنِّ بالمسلمين.

قال بَكْرُ المُزَنيُّ: «إيَّاك مِنَ الكلامِ ما إنْ أصبتَ فيه لَم تُؤجَر، وإنْ أخطأتَ فيه أثِمْتَ، وهو سوءُ الظنِّ بأخيك».

وقال أبو قلابةَ الجَرْمي: «إذا بلغَكَ عن أخيكَ شيءٌ تَكْرَهُهُ، فالتمسْ لَهُ العُذْرَ جُهْدَكَ؛ فإنْ لم تجدْ له عُذْراً، فقل في نفسك: لعلَّ لأخي عُذْراً لا أعلَمُهُ».

إنَّ سوءَ الظنِّ بالآخرين إنما يَنشَأُ من: الغرورِ بالنفسِ والإعجابِ بها، والازدراءِ للغيرِ وانتقاصِهِم، ومن هنا كانتْ أولُ معصيةٍ لله

هي: معصيةُ إبليسَ، وأساسُها: الغُرُورُ والكِبْرُ حينَ قال: ﴿أنا خيرٌ منه﴾ فطوبى لمن اشتغلَ بعُيُوبِ نفسِهِ وإصلاحِهَا، وابتعدَ عَنِ النظرِ في عُيُوبِ غيرِه، فمن شَغَلَ نَفْسَهُ بعيوبه، لم يجدْ وقتاً ولا فِكْراً يَشْغَلُهُ في الناس وسوءِ الظن فيهم.

وقد نَهَى النبيُّ ﷺ عن تَتَبُّعِ عَوْرَاتِ الناس فقال: «لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ، يَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ» رواه أبو داود وأحمد في المسند.

وذَكَرَ سُفْيَانُ بنُ حُسَيْنٍ رجلاً بسُوءٍ، عِنْدَ إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَجَعَلَ إِيَاسُ يَنْظُرُ في وَجْهِهِ ولا يَقُولُ شَيْئاً حَتَّى فَرَغَ، فَقَالَ له: أَغَزَوْتَ الدَّيْلَمَ؟ قال: لا. قَالَ: فَغَزَوْتَ السِّنْدَ؟ قال: لا. قَالَ: فَغَزَوْتَ الْهِنْدَ؟ قال: لا. قَالَ: فَغَزَوْتَ الرُّومَ؟ قال: لا. قَالَ إياس: «فَسَلِمَ مِنْكَ الدَّيْلَمُ وَالسِّنْدُ وَالْهِنْدُ وَالرُّومُ، وَلَيْسَ يَسْلَمُ مِنْكَ أَخُوكَ هَذَا» فَلَمْ يَعُدْ سُفْيَانُ إِلَى ذَلِكَ.

إنَّ المؤمنَ يُحبُّ الخيرَ للناس جميعاً، ولا يرجو الخيرَ لنفسه فقط، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِنِّي لآتِي عَلَى الآيَةِ مِنْ كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ، فَلَوَدِدْتُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا أَعْلَمُ مِنْهَا، وَإِنِّي لأَسْمَعُ بِالْحَاكِمِ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ يَعْدِلُ فِي حُكْمِهِ فَأَفْرَحُ بِهِ، وَلَعَلِّي لا أُقَاضِي إِلَيْهِ أَبَداً، وَإِنِّي لأَسْمَعُ بِالْغَيْثِ قَدْ أَصَابَ الْبَلَدَ مِنْ بِلادِ الْمُسْلِمِينَ فَأَفْرَحُ، وَمَا لِي بِهِ مِنْ سَائِمَةٍ».

وهذا أبو دجانةَ، دخل عليه زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ في مرضه، ووجهُهُ يتهَلَّلُ! فقال له: مَا لَكَ يَتَهَلَّلُ وَجْهُكَ؟

فقال: «مَا مِنْ عَمَلِ شَيْءٍ أَوْثَقُ عِنْدِي مِنَ اثْنَتَيْنِ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ لا أَتَكَلَّمُ فِيمَا لا يَعْنِينِي، وَأَمَّا الأُخْرَى: فَكَانَ قَلْبِي لِلْمُسْلِمِينَ سَلِيماً».

وكَانَ الشيخ مَعْرُوفٌ الْكَرْخِيُّ عَلَى الدِّجْلَةِ وَمَعَهُ أصحابه، إِذْ مَرَّ أَقْوَامٌ أَحْدَاثٌ فِي زَوْرَقٍ يُغَنُّونَ وَيَضْرِبُونَ بِالدُّفِّ، فقالوا لَهُ: يَا أَبَا مَحْفُوظٍ، أَمَا تَرَى هَؤُلاءِ فِي هَذَا الْبَحْرِ يَعْصُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، ادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَرَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «إِلَهِي وَسَيِّدِي، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُفَرِّحَهُمْ فِي الآخِرَةِ، كَمَا فَرَّحْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا»، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: «إِنَّا سَأَلْنَاكَ أَنْ تَدْعُوَ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ نَسْأَلْكَ أَنْ تَدْعُوَ لَهُمْ»، فقَالَ: «إِذَا فَرَّحَهُمْ فِي الآخِرَةِ تَابَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَمْ يَضُرَّكُمْ شَيْءٌ».

إنَّ المؤمنَ العاقلَ ينظر إلى حسنات الناس وإيجابياتهم وينمِّيها، ولا يضخِّمُ سيئاتِهم ويُغفلُ حسناتِهم، وقد ضَرَبَ النبيُّ ﷺ أروعَ الأمثلة في ذلك.

فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الله، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ الله، وَكَانَ النَّبِيُّ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ فَأُتِيَ بِهِ يَوْماً فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلا أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ» رواه البخاري.

لقد قال ﷺ عن ذلك العاصي لله: «لا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلا أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ». فقد مَدَحَهُ وذَكَرَ صفةً عظيمةً وحميدةً له وهي (أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَه)، فالمعصيةُ لا تنافي أصلَ المحبة لله ورسوله، ولكنها تنافي كمالَ المحبة لهما. فالعاصي لم يَخْرجْ عن الإيمانِ كلِّه، ولم يصبحْ عدواً لله ورسوله.

إنَّ بعضَ مَرْضَى القلوبِ إذا رأى سيئةً مِنْ غيرِه يَقُومُ بالمُزايدةِ في التشنيعِ والإنكارِ عليه، يُريدُ أَنْ يُظْهِرَ للناس كَمْ هُوَ وَرِعٌ وتَقِيٌّ، وقد يتجاوزُ ويَبْتَعِدُ بتصَرُّفِه عن أدنى التقوى وعن أدنى حقوقِ الأُخُوَّة، وأَنَّى للسِّبَابِ والشتائمِ والانتقاصِ من الآخرين أن تكون ديناً يُتَقَرَّبُ بها إلى الله تعالى..

ومن الأمثلة الرفيعة التي يعلمنا فيها النبيُّ ﷺ كيف نتعاملُ مع الآخرين، ما ذكره عَبَّادُ بْنُ شُرَحْبِيلَ حين قال: أَصَابَنَا عَامُ مَخْمَصَةٍ، فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ، فَأَتَيْتُ حَائِطاً مِنْ حيطانها (أي بستاناً)، فَأَخَذْتُ سُنْبُلاً فَفَرَكْتُهُ فَأَكَلْتُهُ، وَجَعَلْتُهُ فِي كِسَائِي، فَجَاءَ صَاحِبُ الْحَائِطِ، فَضَرَبَنِي وَأَخَذَ ثَوْبِي، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ لِلرَّجُلِ: «مَا عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلاً، ولا أَطْعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعاً أَوْ سَاغِباً»، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَرَدَّ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ، وَأَمَرَ لَهُ بِوَسْقٍ مِنْ طَعَامٍ، أَوْ نِصْفِ وَسْقٍ. رواه النسائي وابن ماجه، وأحمد في المسند، والبيهقي في السنن الكبرى.

فقَدْ أرشَدَ عليه الصلاةُ والسلامُ هذا الذي سُرِقَ منه أَنْ يَنْظُرَ في حاجةِ هذا السارقِ، فهو لم يسرقْ إلا عن حاجةٍ وجهل، فقال عليه الصلاةُ والسلام لمن سُرِقَ منه: «مَا عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلاً، ولا أَطْعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعاً» ثم أَمَرَ النبيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ بطعامٍ إلى ذلك الذي سَرَقَ عن فَقْرٍ وحاجة وأعطاه إيَّاه..

إنَّ الشريعةَ الإسلاميةَ تَهْتَمُّ بالحقوقِ قَبْلَ الحُدُود، فقَبْلَ تطبيقِ الحُدُودِ على الناس، لا بدَّ مِنْ أداءِ الحقوقِ إليهم، ولهذا أوقفَ عمرُ بنُ الخطابِ إقامةَ حدِّ السرقةِ في عامِ الرَّمَادَةِ حين عمَّتِ المجاعةُ، لأنَّ السارقَ قد يكونُ مُضطراً، والحدودُ تُدْرَأُ بالشبهات.

ولم يقطعْ عمرُ بنُ الخطاب كذلك عندَمَا سَرَقَ غِلْمَانٌ لحاطبِ بنِ أبي بَلْتَعَةَ ناقةً لرجلٍ من مُزَيْنَةَ، فقد أَمَرَ بِقَطْعِ يدِهِمْ في بدايةِ الأمر، ولكنْ حينَ تبيَّنَ له أنَّ سيِّدَهم هو الذي كان يُجيعُهُم، دَرَأَ عنهمُ الحدَّ، وغرَّمَ سيِّدَهم ضِعْفَ ثمنِ الناقة تأديباً له.

وهكذا تَظْهَرُ عَظَمَةُ هذا الدينِ الإسلاميِّ، إنه دينٌ يَكْفُلُ الحقوقَ ويُراعي احتياجاتِ الناس، ويُحَقِّقُ مصالحَهُم، ويُسْعِدُهُم في الدنيا والآخرة.

لقد كانَ النبيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ يَنْظُرُ إلى جوانبِ التميُّزِ في أصحابه، فيُنَمِّيهَا ويُبَارِكُهَا، فقد قال لأحَدِ أصحابه: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ، الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ» رواه مسلم.

وفي زيادة عند أبي داود: فقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَنَا أَتَخَلَّقُ بهمَا؟ أَمِ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: «بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا». فقَالَ: «الْحَمْدُ لله الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ، يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ».

وقَالَ ﷺ عن الصحابيِّ عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» فكَانَ عبدُ الله بنُ عمرَ بعد ذلك لا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إلا قليلا. متفق عليه.

وقال لأبي موسى: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْمَعُ قِرَاءَتَكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ». متفق عليه. وفي زيادة عند ابن حبان: فقَالَ أبو موسى: «لَوْ عَلِمْتُ مَكَانَكَ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيراً».

هَكَذا كانَ عليه الصلاةُ والسلامُ يتعامَلُ مع أصحابه، وهكذا يُعَلِّمُنَا كيفَ تكونُ الحِكْمَةُ في التعامُلِ، وكيف تكونُ التربيةُ والتعليمُ ■

أخبار هيئة الشام الإسلامية في سطور

المكتب الدعوي

- كفالة ٥٠ داعية جديدة خلال المرحلة الثانية لبرنامج كفالة الدعاة في الداخل، ليصل عدد الدعاة في جميع أنحاء سوريا إلى ١٦٥ داعية.
- إضافة ٥٠ حلقة جديدة لمشروع حلقات تعليم القرآن الكريم، ليصل عدد الحلقات التي تشرف عليها هيئة الشام الإسلامية ٤٧٠ حلقة في سوريا وتركيا والأردن.
- استكمال الترتيبات النهائية لإطلاق (معاهد الشام لإعداد الدعاة) في عدد من المناطق السورية، منها مدينة حلب وسرمين.
- إقامة دورة شرعية للسجناء في سجن الهيئة الشرعية في حلب بالتعاون مع الهيئة الشرعية، بحيث يتم تخفيف محكومية السجناء بناء على اجتيازهم الدورات وحفظهم أجزاء من القرآن الكريم.
- تقديم عشرات الدورات والدروس والمحاضرات للمجاهدين والمدنيين في عدد من المناطق السورية (حوران – ريف حمص – مدينة حلب – ريف حماة- ريف ادلب – مخيمات اطمة).
- إقامة الدورة الثانية لتأهيل مدرسي حلقات تحفيظ القرآن الكريم التابعة للهيئة في مخيمات أورفة.



المكتب التعليمي

- تزويد الهيئة السورية للتربية والتعليم (علم) بالنسخ الإلكترونية لكتب اللغة الإنجليزية لتسريع عملية طباعتها، علماً أن هيئة الشام الإسلامية كانت قد طبعت العام الماضي أكثر من ٢٥٠ ألف نسخة من الكتب الدراسية.
- إقامة برنامج تدريبي بعنوان (الجودة في التعليم)، يضم ثمان دورات، من خلال تدريب مايقارب مائة من المعلمين والمعلمات في أنطاكيا، ومثلهم في الريحانية.

المكتب الطبي

- الإشراف وتشغيل أكثر من ٣٠ منشأة طبية، تشمل دعم مشافي تخصصية، ومشافي نقاط ميدانية، ومراكز رعاية أولية.
- دعم مشافي ونقاط طبية في دمشق وريفها بمبلغ (١٥٠, ٣٥٤) دولار شهرياً.
- اجرى مشفى الصفر الجراحي، الذي تشغله هيئة الشام الإسلامية، أكثر من ٣٥٠ عملية جراحية بكافة التخصصات.



القسم النسائي



- إقامة ثلاث دورات لتأهيل الداعيات في دول اللجوء (مرعش والريحانية في تركيا – المفرق في الأردن).
- إقامة أربع دورات تطويرية وإيمانية في (دوما في سوريا – الريحانية في تركيا – إربد في الأردن).
- إقامة الدورة التدريبية الثانية للنساء على الحرف اليدوية في عمان – الأردن.

